17 em Année No. 844 — Lundi — 5 — 9 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٤ «القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ ذوالقعدة سنة ١٣٦٨ — ٥ سبتمبر سنة ١٩٤٩» السنة السابعة عشرة

أقول بصراحة . . !

أقول بصراحة : إن الجامعة العربية فى محنة ، وإنها تجتاز مرحلة ينظر إليها العقلاء بعين الرثاء حيناً وبعين الإشفاق حيناً آخر ... مرحلة سبقها ماض لم يخل من الشوائب ، ويصحبها حاضر لا يبرأ من التنابذ ، وينتظرها مستقبل لا يبشر بالخير ... وهى خطوات يشيع فيها التعثر والانحراف على كل حال ، والذنب — كما يقرره الواقع — ذنب الأفراد الذين يسمون أنفسهم ساسة وقادة ، وليس ذنب الأفراد الذين يكوّنون الشعوب والجماعات !

الشعوب العربية فى ميزان التعاطف والسلام والوئام والحب ، أيادٍ متحدة وقلوب مؤتلفة .. ولو ترك لها الأمر لتعبر عن دخائل النفوس ومكامن الشعور لاقتربت الآمال المتفرقة ، وتوطدت الأواصر المفككة ، وتركزت الجهود المشتتة بفعل الفردية المتأصلة فى بعض الضمائر والقلوب !

وماذا ينقص الساسة فى غمرة الأزمات وزحمة المشكلات ؟ ماذا ينقصهم ليقيموا بناء الجامعة العربية على دعائم جديدة تقيها الزلزلة فى مهب الرياح والأعاصير ؟ !

ينقصهم الكثير فى هذا المجال ، ومن هذا الكثير شىء من الصراحة أولا ، وشىء من خلوص النية ثانياً ، وشىء من الثقة ثالثاً ، وأخيراً أشياء من التضحية والإيثار وإنكار الذات ، وأمانة التعبير عن أهداف الجماعة الكبرى ممثلة فى شعب بأكمله ، شعب يضم صوته إلى أصوات جيرانه لتنطلق الصيحة الواحدة من أعماق حنجرة واحدة ... هى حنجرة الأمة العربيـة فى كل بقعة من البقاع ، وكل قطر من الأقطار !

تجتمع اللجنة السياسية من حين إلى حين ، تجتمع ثم تنفض ، ثم لا يعلم أحد أى قرار اتخذت ، ولا أى طريق رسمت ، ولا أى هدف من الأهداف سمت إليه فى طوايا الظلام ...

لو ملكنا الصراحة لكشفنا للشعوب عما دار من حديث بين أربعة جدران ، ولو وُهبنا خلوص النية لبدت الوجوه سافرة بغير قناع ، ولو طبعنا على شىء من الثقـة بالنفس والثقة بالغير لـما اختلفنا على التافه وقنعنا باليسير ، ولو فطرنا على التضحية وإنكار الذات لـما تفرّق الشمل وتصدّع البنيان ، ولو حرصنا على أن نعبر فى صـدق عن التيارات النفسية التى توجه الشعوب لـما بعدت الشقة بين رأى ورأى فى حديث السـاسة وذهب كل فى طريق ! !

غموض وحيرة وقلق ... وهـذا هو العنوان الوحيد الذى يجب أن يعلو كل مقال يشير إلى حاضر الجامعة العربية ومستقبلها . ولست أدرى ما هى المعجزة التى يمكن أن تطمس تلك الكلمات لتحل محلها كلمات أخرى تبرز لنا عنواناً آخر يضفى على الحاضر

أنـــا ... والقمر !

للأستـــاذ راجي الراعي

لقيت القمر أمس ، وكان بدراً ، وإليك ما دار بيننا :

— من أنت أيها القمر ؟ !

— أنا ... أنا هو القمر !

— ولم هذه الغطرسة ؟ !

— ألا ترى أين أنا ؟ إني أتوسط الأفق ... !

— ولكنك مع علائك لست بالمصامي ، فأنت تستعير نورك من الشمس ...

— وهل ترى في ذلك ما يشير إلى الضعف ... من هو الذي لا يحتاج ولا يستعير ولا يستجير ... أتحسب أن في الأرض والسماء حراً مستقلا غير الله ؟! ... الإنسان مدين لدمه ، ودمه مدين للأرض التي غذته بثمارها ، والأرض مدينة لعناصرها التي تصون كيانها ، وقلب الأرض مدين لقلب الأفق الذي يسقيه ويحييه ... الغمامة التي تراها عالقة بأهداب السماء ، مدينة للبحر الذي قذف بها إلى سمائها ... البحار مدينة للأنهار ، والأنهار للينابيع ، والينابيع للجبال ، والجبال لذراتها التي تضامنت فكونتها ... نعم ، أنا مدين للشمس ، والشمس مدينة لدائنها ، ودائنها مدين لدائنه ... الحياة مدينة للأرحام التي تقذف لها بالأجنة ، والموت مدين للحياة التي تملأ لحوده ... القرون مدين بعضها لبعض ، وكلها مدينة للرجل الأول ... الموسيقى والغرام والتصوير والنقش والشعر فنون مدينة للخيال ، والخيال مدين المرأة ، والمرأة مدينة للحب والجمال ... الليل مدين للشمس التي غابت ، فلولاها لم يضرب خيامه في الأرض ، والفجر مدين لليل ، فلولاه لم يطلع ... أنا مدين للشمس أستعير نورها ، ولكن الليالي مدينة لي ، وأنت مدين لي ساعة تتسكع في الظلمة ، وساعة أثير صدر حبيبتك النابض في ظلي فتضمك إليه ، إن في كل قبلة من قبل حبك شيئاً مني ... أنا هو القمر ... أنا القمر ... أنا البدر وكفى ...

— ما عهدتك يا صاحبي فصيحاً إلى هذا الحد وغزيراً ...
ولم أر قبلك من يدافع عن نفسه بمثل هذه البلاغة ... حقاً إنك لنقيب المحامين ، وإنك لجميل ، وأجمل ما فيك وضوحك وجلاؤك ! عبقريتك عبقرية الوضوح والجلاء ... ليس فيك شيء من الإبهام والقلق والاضطراب ، وهي نعمة أحسدك عليها ...

— لا ، لا تحسبها نعمة ولا تحسدني ... أرأيت تلك النجمة التي تقلق الناظرين إليها وتدفعهم إلى السؤال عن وجهها ، إنها أجمل مني ، لأنها تحجب بعض ما فيها عن الخلائق ولا ترفع الحجاب عن محياها فيبدو بكل ما فيه ، ولا تقف مثلي على ملتقى الطرق لتهدي بوضوحها التائهين ... إنها تتشبث بسرها ، وتخفي عنك ضميرها ، فهي ليست عارية مثلي ، وعيبي الذي تحسبه جمالا هو أنني نزعت كل ثيابي وانبطحت أمامك فأريتك نفسي ... أنا رجل ساذج أبله ... وهل يتعرى أمام الناس إلا الساذج الأبله .. أنا رجل صريح سره في وجهه وقلبه على لسانه ، ولكن صراحتي وسذاجتي ووضوحي صور لا يعرضها الجمال الحقيقي على لوحته ، فهو يرتاح إلى ما يخفى عنه العيون ، إلى الأسرار ، إلى الإبهام الذي يهز أعماق النفوس ويثيرها .. انظر إلى الموسيقى كيف تؤجج النار في نفسك كلما زادت إبهاماً ، وانظر إلى الليل كيف يقلب صفحات قلبك وأنت تتلمس فيه طريقك ، وإلى المستقبل كيف يجذبك إليه وأنت محجوب عنه ، وإلى الشعر كيف يطربك وأنت لا تدري لذلك من سبب ، وإلى الحب المفعم باللذات لأنك

المظلم من إشراقه ما يملأ جوانب النفوس بالنور ، ويرسل إلى المستقبل المجهول من أقباس ضيائه ما يطمئن الحيارى على مواطئ أقدامهم في مقبل الأيام !

أليس من المخجل أن نتلقى الدروس في كل حين من تلك الدولة التي نحيط بها من كل ناحية إحاطة السوار بالمعصم ؟

لقد كان الأمل أن نحيط بها لنزهق بأيدينا المتحدة أنفاس هذا الوليد اللقيط الذي اعترف العالم بشرعية مولده ، ولكننا وا أسفاه قد أحطنا به لنتلقى عنه آخر الأمر كثيراً من الدروس ... الدروس التي تنقصنا وتكتب للشعوب معاني الحياة والبقاء ! !

(أ . م)

لا تعرف له بداية ولا نهاية ... حبذا لو كان لي وشاح واحد من أوشحة هذا الليل الذي يكتنفني !

— ما الذي تراه فيك جميلا أيها القمر البدر ؟

— رأفتي بالمتسكعين في الظلمة !

— ولمن أنت ؟

— أنا لابي الشمس

— من هو ... وك الأكبر ؟

— الفجر

— من يقيم في دارك ؟

— العاشق والفيلسوف والشاعر

— ومن أيضاً ؟

— المرأة ... المرأة ... المرأة !

— كيف تحتج أيها القمر ، وكيف تغضب إذا ما طفحت كأسك وضاق صدرك ؟

— بخسوفي

— هل جاءك يوماً جارك النسر وهمس في أذنيك من كلامه ؟

— أنا في رأفتي بالعباد أكره منقاره الذي ينقض به على الفريسة ...

— كيف أنت والنجوم ؟

— القوى والضعيف لا يتحابان ولا يتصافيان ...

— هل أنت راض عن الليل ؟

— لي معه يومان : يوم ولاء ، ويوم عداء !

— ألم تسأم من العلياء ؟

— ومن يسأم منها ؟

— ألم تحدثك نفسك يوماً بالتخلي عن عرشك ؟

فضحك القمر البدر حتى ضحكت لضحكه ، وما زلنا نضحك في أعالي الفضاء حتى أقبل علينا الفجر متململا من ثرثرتنا وانقض على جنون البدر وجنوني ، وأعادنا من سماء الخيال الرفيع إلى الحقيقة الكئيبة ...

راجي الراعي

خواطر مسجوعة :

قد يقتل الألم الشـــعر !

(إن القوة التي تشد الأوتار هي التي تمزقها ، والنار التي تشد الدفوف هي التي تحرقها .
فإلى من تمزقت أوتارهم ، واحترقت دفوفهم ، أهدى رماد النار ، وتراب القيثار !!)

يقال إن الألم يوقظ الحواس ، ويشد أوتار الإحساس ، ولهذا القول من الصواب خلاق ، لكن على غير الإطلاق . فإن القوة التي تشد الأوتار هي التي تمزقها ، والنار التي تشد الدفوف هي التي تحرقها ، والقسر الذي يضغط الشغاف حتى يلهبه ، ليس أقتل منه للموهبة ! فالشاعر كالطائر يعبر عن كل آلامه بالبكاء ، إلا ألم القسر فقد يموت به من غير اشتكاء . والأملاق ضرب من القسر والإذلال ، والإذلال غل من أبغض الأغلال ! فإذا حصر الشاعر في عيشة محدودة ، ودراهم معدودة ، كبت القسر إحساسه ، وكتم النسر أنفاسه !

وقد قيل إن البؤس أسدى إلى حافظ إحساناً ، وأضفى على شعره إتقاناً ، فلم يأت بالنفائس ، إلا وهو بائس ، وأنه لما لمس بعض السعادة ، أخلد إلى البلادة ، ولما ارتاح باله ، قل في الشعر مقاله ، فهل استراح هذا الشاعر إلا بعد أن هدت الأيام قواه ، وأشرف من المصرع على منتهاه ؟ وحسبنا البيت الذي قاله ، مصوراً حاله

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما   وعدت فما أعقبت إلا التندما

لقد كان فعل الآلام قوياً متماسكا ، عند ما لاذ الشاعر بالنهاية لاهثاً متفككا ، فلم يصمت مؤثراً الصمت ، وإنما كان يتاهب للموت ، ومن قطع جل عمره في لأي واه ، ناء في منتهى الشوط بالداء العياء !

وإذا كان البؤس هو الذي جعل حافظاً شاعراً كبيراً ، فبماذا كان شوقي للشعر أميراً ؟ وقد نشأ في أنعم دار ، ولعب باللؤلؤ والنضار ، وتربى في أحضان البلهنية ، ولم تمز عليه أمنية ؟ أعتقد أن البحبوحة ، هي التي أطلقت روحه ، فنبغ في ظلال السعة ، والعيشة الممتعة

حامد بدر

القاهرة الإسلامية :

جامع الأشرف جانبلاط

مدرسته وضريحه

للأستاذ أحمد رمزى بك

كتب الجبرتى فى تاريخه عن حوادث شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٥ هجرية « وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها ، فنها توالى الهدم والخراب ، وتغير المعالم وتنويع المظالم ، وعم الخراب خط الحسينية ، خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الاخطاط والجهات والحارات والدروب والحمامات والمساجد والمزارات والزوايا والتكايا وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية بباب النصر ، وما كان به من القباب العظام ، المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالية ، واتصل الهدم خارج باب النصر وباب الفتوح وباب القوس إلى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خراباً متصلا وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً » .

لماذا أقدم الفرنسيون على هذا التدمير والتخريب وإزالة هذه المعالم ؟ .

وما الذى جنته الآثار الاسلامية لكى تسوى بالأرض وتزال من الوجود ؟ .

واستمر الجبرتى يحدثنا عن المساجد والمدارس والدور والآثار التى هدمت ، والنفس تفيض أسى وحسرة ، ثم ختم بقوله « قصدوا بذلك إنشاء عدة قلاع ومتاريس وتحصينات لحماية القاهرة » .

كنت أسمع المؤرخ المصرى وكأنه ينتزع بكلامه عن كل أثر قطعة منى لأنى قاهرى مولداً ونشأة ، وأرى فى القاهرة مدينة حية خلال العصور الماضية إذا أصابها سوء فكأنه أصابنى . وأعجب لقوم لايشعرون بشعورى ، ولايقدرون عظمة القاهرة الاسلامية ! وقمت مسرعاً فى سيارة وقد حملت فى يدى خريطة الحملة الفرنسية وأخرى مفصلة لتلك الناحية ، ونظرت إلى باب النصر وإلى باب الفتوح ، وقلت من هنا مر صلاح الدين وبعده نابليون ، وهذا جامع الحاكم : ترى لو كان مع غيرنا هل يتركونه على حالته ؟ أم كانوا يعيدون إليه رونقه ، ويجعلونه بيتاً للعبادة ؟

وفتحت أطالس الفرنسيين وعثرت على جامع الأشرف ورسمه وشكله فإذا بى أكون فكرة عما كان عليه المسجد قبل هدمه ، ومن نظرة واحدة تعرفت على ركن قائم منه فى زاوية من سور القاهرة فى الجهة الشرقية من باب النصر .

ونظرت إلى الباقى منه أنادمه منادمة من يصبو إلى بانيه وواضعه ، وبرثى لسقطة هادميه ويقول لم يجدوا لقلاعهم وخنادقهم غير حجارة هذا المسجد !

وما الذى كسبوه بإزالة معالمه ؟ لقد أصبح مكانه فضاء كساحة خالية ، فأخذت أسير فيها وقد تملكتنى رهبة ، ثم مر بخاطرى المنظر الآتى :

كيف جاء صاحب المسجد بعد زيارته لقبر قايتباى فكشف عن عمارة هذه المدرسة ، ثم دخل من باب النصر وشق المدينة فكان آخر عهده بها إلى أن أحضرت جثته من الأسكندرية فى شوال سنة ٩٠٦ فى عهد النورى فدفنت بتربة الأشرف قايتباى ثم تقدمت مماليكه « فقالوا لا تدفن أستاذنا إلا فى تربته التى بباب النصر » فنقل إليها وهذه ثالث نقلة لجثمانه .

ومرت منذ مدة فإذا الركن الذى كان عالقاً بالسور عند باب النصر وبقى من هدم جيوش نابليون قد أزيل بدوره . وذهبت المدرسة وضاع الضريح . ويقول حارس الأضرحة إن جماعة يسكنون فى جهة تحت الربع كانوا يدفنون موتاهم فى أرض المدرسة ويقولون أنهم من سلالة الأشرف جانبلاط الرابع والأربعين من ملوك الترك ، والثامن عشر من ملوك الجراكسة بالديار المصرية .

قلت نعم وهو الذى تولى إمارة ركب المحمل المصرى سنة ٨٩٤ وكان قاصداً (سفيراً) لدى بنى عثمان سنة ٨٩٦ هجرية ثم نائب مصر بحلب ثم بالشام ثم أتابك العساكر المصرية بعد الأتابكى أزبك

وانتهى أمره وأمر مدرسته وعهده وضاعت معالم قبره وتذكرت أبا الطيب المتنبى وقوله .

بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها
وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه (١)

(شارع الأهرام بالجيزة) **أحمد رمزى**

(١) ذكر النرى فى الكواكب السائرة أن جثمانه لم يتغير (ص١ جزء أول)

على هامش (دراسات عن المقدمة):

تحامل ابن خلدون على العرب

للأستاذ محمد سليم الرشدان

— ٢ —

(فى الفصل السابق من هذا البحث برهنت على أن دفاع الأستاذ الحصرى بك عن ابن خلدون فى تحامله على العرب (بكتابه دراسات عن المقدمة) لم تكن تؤيده أقوال ابن خلدون نفسه، واستشهدت بنصوص (المقدمة) التى اعتمد عليها، مثبتاً أن الاستمرار بتلاوة تلك النصوص ينطق بعكس ما يريده الحصرى، ويقوم حجة على أن ابن خلدون تعمد ذلك التحامل، وأراد به العرب فى أمصارهم وبواديهم ... وها هنا أكمل التعليق على هامش تلك (الدراسات)، مبيناً وجوه الرأى فى ذلك التحامل وأسبابه المحتملة. فأقول:)

لعل سائلا يسأل، ما سبب تحامل ابن خلدون على العرب بهذه الصورة التى لفتت أنظار الباحثين، حتى من غير العرب؟! فجعلت البعض يظنون فى حقيقة نسبه شتى الظنون، وجعلت البعض الآخر يتهمونه فى قوميته. كما جعلت هذين الكاتبين، وأعنى بهما (بارون دوسلان الفرنسى) و (جودت باشا التركى) يتلمسان له وجه العذر بهذا التأويل الذى أولابه كلمة (العرب) عنده كما مر آنفاً.

فهل كان حقيقة دعياً فى (نسبه)، فهو يحمل فى نفسه موجدة على العرب الذين هدموا مجد أسلافه — فيما إذا كانوا من غير العرب! — وسلبوا حريتهم. فهو من أجل ذلك موتور، وصاحب الترة كثيراً ما يجنح به الخطل، ويميل مع الهوى كل الميل دون روية أو تبصر.

أم كان حقيقة متهماً فى (قوميته)، فهو من أجل هذا الالتواء والشذوذ، يتحامل على العرب شر تحامل، ويرميهم بهذه العيوب التى أحاطهم بها، وينسب إليهم أسوأ الصفات، وأية صفات أسوأ من هذا الذى وصف به العرب وبالغ فى وصفه؟!

هذا ما نقف للاجابة عليه، وأنه لموقف عسر شائك، لا يخلو صاحبه من أن يتحكم به هواه، أو يضل طريق الصواب فى اجتهاده. على أننى سأحاول — جهد الطاقة — أن أتقى ذلك «بالشمال واليمين» وأن أقف عند حد الاعتدال فيما أعرض له. فأقـول:

إن اتهام ابن خلدون فى وجه من الوجوه التى ذكرت، والتى يمكن أن تفترض كذلك، ليس بالأمر البسيط الهين. وإن ابن خلدون لو لم يكن له من الفضل إلا أنه المبتكر الفذ الذى سبق الأولين والآخرين من سلفه، فى استنباط فلسفة علم التاريخ وفلسفة علم الاجتماع لكفاه ذلك فخراً. وحسب هذا الذى تراوده نفسه أن يتهم ابن خلدون فى أية ناحية (فكرية أو نفسية)، أن يضع بين يديه شيئاً من أقوال عظماء الأجيال فيه، فى شتى العصور ومختلف الأمم. وحينذاك — بعد أن يعرف ابن خلدون حق المعرفة — يستطيع أن يتحدث عنه بالكيفية التى يطمئن إليها. وأن تلك الأقوال التى أثرت عن كبار الباحثين فى (ابن خلدون) لوافرة جة يضيق عنها الحصر. على أننى برغم ذلك استشهد بشىء منها تأييداً لما ذكرته عن ذلك المؤرخ العالم الفيلسوف:

يقول (البارون فون كرايمر) العربانى النمسوى، فى رسالته (ابن خلدون وتاريخه لحضارة الدول الإسلامية) أن ابن خلدون يؤرخ الحضارة الإسلامية وهو: «من بين المؤرخين المسلمين أول من خصص فصولاً ضافية للتحدث عن النظم السياسية وأنواع الحكم[1] ...».

ويقول الأستاذ (نميث) الإنجليزى، وهو أحدث من درس ابن خلدون ونقده ما يأتى: «إذا وجب — مع بعض التحفظ — أن نعتبر ابن خلدون مؤرخاً للحضارة الإسلامية، فيحسن أن نتدبر ما إذا لم يكن قصد ابن خلدون الحقيقى، هو أن يقدم لنا أمثلة إيضاحية، ومجموعة تبين لنا ما يعتبره موضوع التاريخ وجوهره ... ولقد كانت هذه الفكرة العظيمة المستنيرة فى فهم التاريخ بأنه سجل لتطور الإنسان الاجتماعى مترتباً على العوامل الطبيعية، وناشئاً من تأثير الوسط وتفاعل الفرد والجماعة، خليقة بأن تجعل كتابه مفتتح عهد جديد[2] ...».

(١ و٢) ابن خلدون حياته وتراثه لعنان. طبعة أولى القاهرة ج ٢ ص ١٤٧ و١٤٨ و١٤٩ ثم ج ١ ص ١٣ س ١.

وبعتبر الأستاذ الهولندى (دى بور) ابن خلدون فيلسوفاً « ويضمه فى ثبت الفلاسفة المسلمين إلى جانب ابن سينا والغزالى وابن رشد وابن الطفيل ، وينوه بقيمة المنطق فى صوغ نظرياته . ويصفه بأنه مفكر متزن[1] ... » .

ويعبره آخرون كثيرون فى مكانة لا تقل عن هذه المكانة التى وضعه فيها هؤلاء الباحثون . ويصرحون بذلك على مرأى ومسمع من أساطين العلم والفكر ، دون أن يجدوا من يعارض قولهم ، أو ينتقص قيمته من حيث الحقيقة ، أو يتهمهم بالمبالغة فى سرد هذه الحقيقة .

ونحن حين نعرف ابن خلدون عن هذا الطريق ، نقف حيال آثاره موقفاً لا يزايلنا معه أجلاله وأكباره ، وتقدير اللائق بمكانته العلمية الرفيعة ... على أنه من الجدير بنا فى هذا المقام إلا تمتهن رأينا وتفكيرنا ، فيصور لنا احترامنا لابن خلدون سقطاته التى وقع فيها حسنات كلها . وهيهات ! فالحق أبلج والباطل لجج ، وأن الحقيقة التى لا نرتاب فى صحتها هى أن ابن خلدون قسا فى حكمه على العرب قسوة بالغة ، وحكم عليهم حكما كان من الضنين به وبمكانته العلميـة أن يتبصر كثيراً فى إصداره والمجاهرة به .

وأما أنه أصدر هذا الحكم لأنه كان دعى النسب فى العرب ، فذلك أمر يحتاج البت فيه والجزم فى صحته إلى كثير من التدقيق . ولا أدرى هل كان ابن خلدون دعياً فى نسبه حقاً ؟! وأنى لنا معرفة ذلك معرفة لا تخالطها ريبة ، ولا يمازجها شك !!

يقول الرجل (أعنى ابن خلدون) عن نفسه أن يرجع فى أصله إلى العرب اليمانية فى حضر موت ، « ونسبه إلى وائل بن حجر ، ويعتمد فى ذلك على رواية النسابة الأندلسى ابن حزم (توفى سنة ٤٥٧هـ) غير أنه يشك فى صحة هذه السلسلة ، ويعتقد أن أسماء منها قد سقطت . لأنه إذا كان خلدون هو جده الداخل إلى الأندلس عند الفتح ، فإن عشرة أجداد لا تكفى لقطع ستة قرون ونصف التى انقضت منذ الفتح حتى مولده . وفى رأيه أنه يجب لقطعها عشرون ، باعتبار ثلاثة أجداد لكل قرن . وأما نسب جده خلدون الداخل إلى الأندلس ، فهو كما روى

(1) المصدر السابق .

ابن حزم أيضاً : خالد ، المعروف بخلدون بن عثمان بن هانىء بن الخطاب بن كريب بن معد يكرب بن الحارث بن وائل بن حجر . فابن خلدون — طبقاً لهذه النسبة — سليل أصل من أعرق الأصول العربية اليمانية[1] ... » .

هـذا ما يقوله ابن خلدون عن نفسه مستق من تلخيص الأستاذ عبد الله عنان المحامى الذى يقول فى تعليقه على هذا النسب ما يلى : « ولكن هنالك ما يحمل على الشك فى صحة هذا النسب البعيد ، الذى يدونه ابن حزم لأول مرة فى القرن الخامس الهجرى . ويقوى هذا الشك لدينا ما نعرفه من ظروف الخصومة والتنافس بين العرب والبربر فى الأندلس ... وكانت العروبة فى الأندلس شرفاً يرغب فى الانتساب إليه ، لما كان لها من السيادة والنفوذ ، ولكن الشك كان يحيق بأنساب كثير من أهل العصبية والرياسة . بل لقد تطرق هذا الشك إلى أنساب زعماء الفاتحين أنفسهم ، فقيل عن طارق بن زياد أنه من البربر ، وقيل إنه فارسى من موالى العرب[2] ... » .

ويلتفت الأستاذ عنان بعد هذا التعليق إلى نسب ابن خلدون ، التفاتة بارعة ، مستقرئاً ذلك من الحقيقة الراهنة مع ابن خلدون . فيقول : « وهنالك أيضاً ما يبعث على التأمل فى تملق ابن خلدون بهذه النسبة العربية ، وهو أنه فى مقدمته يضطرم نحو العرب بنزعة قوية من الخصومة والتحامل ، بينا نراه فى مكان آخر من تاريخه يتمدح البربر ويشيد بخلالهم وصفاتهم[3] » .

وهـذا الذى يقوله الأستاذ عنان يكاد يقره الكثيرون ، وذلك حين يؤكدون : أن مثل هـذه الخصومة البادية فى تحامل ابن خلدون على العرب ، لا يمكن أن تصدر عن مؤرخ استهدف الحقيقة ، وزاملته النزاهة ، وصحبته الاستقامة . كما أنه من البعيد المستهجن أن لا تكون الأمة استطاعت أن تتغلب على دولتين من أقوى دول الأرض يومذاك ، وأن تشيد على أعقاب ملكهما ملكا تزدهر فيه الحضارة ويعم الرخاء ، ويستبحر العمران ، ويقوى على مقارعة الخطوب ومصاولة الأيام سنين طويلة وعصوراً مديدة .

(1) المصدر السابق .
(2) ابن خلدون حياته وتراثه — ١ س١٢ س ١١ ط أولى القاهرة .
(3) ابن خلدون حياته وتراثه لعنان ج ص١٤ س٢ ذات الطبعة .

أجل ، إنه من المستهجن حقاً ألا يكون لهذه الأمة من المزايا ما يجعلها في نظر ابن خلدون في مصاف الفرس والرومان ، أو في مصاف (البربر) على الأقل !! الذين امتدحهم كثيراً ، وأطنب في مدحهم ، وذكرهم في كثير من المواطن التي كان للعرب ما يفوقها ، فضلاً عن أن يماثلها ويسير في نهجها . وأن ذلك عجيب يستفز الريبة !!

إذن فلم يبق أمامنا إلا أحد وجهين : إما أن ابن خلدون كان اتهامه في نسبه حقيقة راهنة ، حتى بدر على لسانه هذا الذي بدر من الشك في ترتيب ذلك النسب ، ثم هو يدعيه ويتظاهر به ، حرصاً على مكانته لدى الملوك والأمراء ، إذ كانت العروبة — كما يذكر الرواة — « شرفاً يرغب في الانتساب إليه » . إلا أنه ينم عليه قلمه ، ويكشفه تعصبه ، فإذا هو عدو في ثياب صديق ، وإذا هو يحمل ضغينين :

أولاهما : هذا الداء الموروث الذي كانت تنطوي عليه تلك الأقوام المختلفة من دعاة الشعوبية في شتى الأقطار التي دخلها العرب غزاة فاتحين .

وأخراهما : هذا الحقد المرير الذي يضطرم في دخيلة نفسه ، كلما ألفاه محمولاً على أن يتظاهر بالانتساب إلى غير أهله ، حرصاً على مكانته بين الناس !

ومن جراء هذه وتلك ينبري ملتمساً المثالب في كل باب ، ومقتنصاً المعايب من كل سبيل ، ومنقباً عن أسباب الخيبة والفشل وانتقاض العمران ، ليلبس ذلك كله للعرب ويسنده إليهم، ويلحقه بهم غير مستنكف ولا متورع .

وإما أن يكون ابن خلدون على النقيض من ذلك ، أي أنه عربي محض ، وأن تحامله على العرب كان وليد تأثره بأوضاع شخصية ، وظروف خاصة أحاطت به في شتى أطوار حياته وتشتت بها شمله ، وتغرب عن بلده ، وقاسى من العناء والمشقة الدسائس وحسد الحاسدين ، ما جعله يسيء الظن بأقرب المقربين إليه ، فيميد هذا الفساد الخاق إلى نقص موروث ، تناقله الأبناء عن الآباء .

أضف إلى ذلك أنه كان يعيش في زمان كثرت فيه الدويلات، وانتقصت فيه ممالك الإسلام من أطرافها . فهذا (تيمور لنك) يكتسح الممالك الإسلامية من الشرق فتخربين يديه دولة أثر دولة ... وهؤلاء الأسبان في الأندلس ، يدحرون المسلمين أمامهم ، وينتزعون منهم بلداً أثر بلد . وهنالك الثورات والقلاقل التي كانت لا تخبو نارها ، ولا يخمد أوارها . ثم هو لا يزال يشاهد من أهوالها ما يجعله ذاهلاً حائراً ، لا يدرى إلى أية فئة ينحاز ، ولا إلى أي قبيل يلتجيء !!

وإذا ما التزم العافية عاش عالة على سواه ، وبقى هملاً لا قيمة له ولا أثر ، وهيهات أن يرتضى ذلك ابن خلدون ، وهو سليل السادات وحفيد الأمجاد . إذن فلا بد من أن يخوض هذه المعمعة ، ويصيبه من شرورها شتى الألوان .

ومن ظن ممن يلاقى الحروب   بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

فابن خلدون إذن حين يحمل على العرب هذه الحملات ، إنما يتحدث عن عرب زمانه ، ومن يدرى ، فلعلهم — شأن من يؤثرون الشقاق على الألفة ، ويظاهرون العدو للإيقاع بإخوانهم !! — جديرون بهذا الذي نتهم به ، بل خليقون بأكثر منه ... وهو حين يتجاوزهم إلى من سبق من أسلافهم لم يزد على أن يأخذ البريء بجريرة العاصي ، وتلك سنة من جمح به هواه .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة   كما أن عين السخط تبدى المساويا

هذا ما عن لي أن أقوله في تعليق على رأى ابن خلدون في العرب ، وذلك (على هامش دراسات الأستاذ الحصري) . ولعلى أميل في تعليل تحامله إلى الرأى الثاني وهو في يقيني أقرب إلى الحقيقة والواقع .

وهنا أختم كلامي بتعبير كان يكرره ابن خلدون كثيراً — وذلك على سبيل التيمن والبركة — فأقول : والله تعالى أعلم !

(زحلة — نزل إلياس ثابت)   محمد سليم الرشدان
« ماجستير في الآداب واللغات السامية »

مصادر البحث :

١ — المدان (٨١٩ و ٨٢٠) من مجلة الرسالة الزاهرة .
٢ — مقدمة ابن خلدون — المطبعة التجارية الكبرى لمصطفى محمد. لم يذكر رقم الطبعة . ولم يذكر تاريخ الطبع !
٣ — دراسات عن مقدمة ابن خلدون تأليف الأستاذ ساطع الحصرى بك . جزءان . الأول طبع سنة ١٩٤٣ في مطبعة الكشاف بيروت . والثاني سنة ١٩٤٤ بالمطبعة عينها .
٥ — ابن خلدون — حياته وتراثه الفكري . تأليف الأستاذ عبد الله عنان المحامى . طبعة أولى دار الكتب المصرية سنة ١٩٣٣ .
٦ — فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . تأليف الدكتور طه حسين وعربه عن الفرنسية الأستاذ محمد عبد الله عنان المحامى . الطبعة الأولى سنة ١٩٢٦ القاهرة .

الفلسفة الصامتة

للأستاذ عبد المنعم عبد العزيز المليجي

(تتمة)

الحياة أعظم الشرور :

تحدثنا الحكمة الهندية[1] أن الأمير السعيد (ساكيامونى) وهو من نعرف باسم (بوذا) خرج فى عربته وهو شاب قد خفى عنه العلم بالمرض والشيخوخة والموت . فوقعت عيناه على رجل مسن مفزع ، تحطمت أسنانه وسال لعابه من فمه . فدهش الأمير الذى خفى عنه حتى اليوم العلم بالشيخوخة ، وسأل سائق عربته عما رأى ، وكيف آل هذا الرجل إلى مثل هذه الحال الزرية المقززة . ولما علم أن ذلك هو المصير المألوف للناس جميعاً ، وأن تلك الحال عينها تنتظره بغير مناص — وهو الأمير الشاب — لم يستطع أن يواصل السير ، وأمر السائق أن يقفل راجعاً إلى البيت كى يتدبر الأمر . ثم حبس نفسه وأخذ يفكر ، وربما وجد فى نفسه ما يعزيه ، لأنه خرج بعدئذ فى العربة مرة أخرى وهو مرح سعيد . غير أنه رأى هذه المرة رجلاً مريضاً : رأى رجلا هزيلا شاحب اللون قاتم العينين يرتعش من شدة الهزال . فوقف الأمير الذى خفى عنه العلم بالمرض ، وسأل عما رأى . ولما علم أن ذلك هو المرض الذى قد يتعرض له أى إنسان ، وأنه هو نفسه — وهو الأمير الصحيح البدن الهانئ القلب — قد تصيبه العلة فى غده ، عاد إليه ذلك الاكتئاب الذى يحرمه المتعة بحياته وأمر سائقه أن يقفل راجعاً إلى البيت . وبحث عن العزاء مرة أخرى ، وربما وجده ، لأنه خرج فى عربته للمرة الثالثة قصد النزهة . ولكنه فى هذه المرة الثالثة رأى مشهداً آخر جديداً : رأى جماعة تحمل شيئاً فسأل :

« ما هذا ؟ » فقيل له :

« هذا رجل ميت » . قال :

« ما معنى كلمة ميت ؟ » فقيل له :

« إن المرء حين يموت يمسى كذلك الرجل » .

واقترب الأمير من الجثة ، ورفع عنها الغطاء ، ونظر إليها ، وسأل :

« ما الذى سيحدث له الآن ؟ » فقيل له :

إن الجثة ستوارى التراب .

« لماذا ؟ » .

« لأنه بالتأكيد لن يعود إلى الحياة ، ولن يصدر عنه غير النتن والدود » .

« وهل هذا هو مصير الناس أجمعين ؟ هل يحدث لى نفس هذا الشىء ؟ هل يدفنوننى ؟ وهل تصدر عنى الرائحة الكريهة ويأكلنى الدود ؟ » .

« نعم » .

« إلى البيت ! لن أركب عربتى للنزهة ، ولن أفعل ذلك مرة أخرى » .

ولم يجد ساكيامونى فى الحياة ما ينطوى على أية قيمة وانتهى إلى فلسفته التى تقرر أن الحياة أعظم الشرور ، وأن الخير يقضى بالتحرر منها ودعوة الناس للتحرر منها بكل ما يملكون من طاقة روحية . وهذه القصة ترمز إلى فلسفة الهند الزاهدة فى الحياة ، المتعلقة بالروحانية . [1] وهى عين الفلسفة التى يعبر عنها سليمان الحكيم فى الكتاب المقدس إذ يقول :

« باطل الأباطيل — كل شىء باطل . ما فائدة الإنسان من أى عمل يتولاه تحت الشمس ؟ جيل يتولى وجيل يقبل إلى الأبد . إن ما كان سوف يكون . وما حدث سوف يحدث ، وليس تحت الشمس جديد ؟ هل هناك شىء نستطيع أن نقول عنه : انظر ! هذا جديد ؟ كلا . إنه من قديم الزمان الذى سلف . ليس لما سلف ذكرى ، ولن تكون لما يقبل ذكرى . أنا الذى أعظكم كنت ملكا على بنى إسرائيل فى بيت المقدس ، ولقد وهبت قلبى للتنقيب والبحث عن طريق الحكمة فى كل ما حدث تحت السماء ... وناجيت قلبى وقلت له : هيه ، أنا مالك لضيعة كبرى وعندى من الحكمة أكثر من كل من سبقنى ببيت المقدس — أجل ، إن قلبى مفعم بكثير من تجارب الحكمة والمعرفة . ولقد

(١) نقلا عن كتاب (اعترافات تولستوى) ترجمة الأستاذ محمود محمود

(١) راجع مقالينا « الفكر الشرقى القديم » فى العددين : ٨١٣ و ٨١٤ من الرسالة .

وهبت قلبي لإدراك الحكمة ولمعرفة الجنون والحماقة ، فرأيت أن ذلك يبعث على الحزن العميق . ومن يزدد علماً يزدد أسى .

قلت لنفسي : الآن انطلق ، وسوف أمتحنك بالمرح . وإذن فلتنعم بمختلف المتع . فكان ذلك باطلا كذلك ... شيدت لي بيوتاً وزرعت الكروم ، وأنشأت الحدائق والبساتين ، وغرست فيها الشجر من كل الثمار ، وحفرت البرك أروي من مائها الغابة التي تنمو بها الأشجار ، واستخدمت الخدم والإماء ، وولدت الخدم في بيتي ، وامتلكت من قطعان الغنم والماشية أكثر من كل من سبقني في بيت المقدس . وجمت كذلك الذهب والفضة ونوادر الكنوز من مختلف الملوك والأقاليم . وظفرت بالمغنين والمغنيات ، وبكل مايلهو به ابن آدم ، كآلات الموسيقى وما إليها . وهكذا كنت عظيما ، وتوفر لي ما لم يتوفر لكل من سبقني ببيت المقدس . وبقيت حكمتي معي كذلك ، ولم أحرم عيني من كل ما اشتهتا ، ولم أبعد قلبي عن أي لون من ألوان السرور ... ثم نظرت إلى كل عمل عملته يداي ، وإلى الجهد الذي بذلت ... فرأيت أن الكل باطل يبعث على حنق النفوس ، وليس من ورائه جدوى تحت الشمس . وهناك حدث واحد يقع للطيبين كما يقع للأشرار ولمحبي الخير ومحبي الشر ، وللطاهر والدنس ، ولمن يضحي ومن لا يضحي ، والطيب كالخبيث ، ومن يقسم بالباطل ومن يخشى القسم . إنه شر يتخلل كل ما يقع تحت الشمس ، وكل شيء يتعرض لحدث واحد . نعم إن قلوب بني الإنسان كذلك مليئة بالشر ، والجنة في قلوبهم ما داموا أحياء ، وبعد ذلك يذهبون إلى الموتى . »(١)

شوبنهور وسقراط :

لندع أسطورة بوذا وموعظة سليمان فهما من الحكمة الشعبية الساذجة ، لنتأمل قليلا رأي كل من سقراط وشوبنهور الفيلسوفين يقول سقراط وهو يتأهب للموت : « إننا نقترب من الحقيقة كلما أشرفنا على مفارقة الحياة ؛ إذ ما الذي نجاهد في سبيله نحن محبي الحقيقة ؟ إننا نجاهد في تحرر أنفسنا من الجسد ! ولما كان الأمر كذلك ، فلماذا إذن لا نفرح حينما يأتي إلينا الموت ؟ إن الرجل الحكيم يبحث عن الموت طوال حياته ، ولهذا فالموت لا يفزعه » .

ويقول شوبنهور : « إذا ما أدركنا أن طبيعة العالم الخفية ليست سوى (الإرادة)(١) ، وأن كل مظاهر الطبيعة — من الحركة اللاشعورية لقوى الطبيعة الغامضة إلى عمل الإنسان الكامل الوعي — إن هي إلا مظاهر لهذه الإرادة ، لم يعد لنا ما يبرر التخلص من هذه النتائج : وذلك أننا إن نبذنا الإرادة وتخلينا عنها طائعين ، ألفينا كذلك كل تلك المظاهر — ذلك التيار الدافق والجهد الذي لا يكل ولا يهدأ في كل مرحلة من مراحل المظاهر الطبيعية التي منها وعن طريقها يتألف العالم ؛ وتلك الصور المتعددة التي تتلو إحداها الأخرى في تدرجها ، وستختفي مع هذه الصور كل دلائل الإرادة ، وستختفي كذلك في النهاية الصور العالمية لتلك الدلائل — الزمان والمكان ، والصور النهائية الأساسية ، أي أن كل ما هو ذاتي وكل ما هو موضوعي سوف يتلاشى ؛ إذا لم تكن هناك إرادة فلن يكون هناك مظهر لشيء ؛ ولن يكون هناك عالم . إنه لا يبقى أمامنا بالتأكيد سوى العدم »

وقف تولستوي(٢) أمام هذه الأقوال الأربعة فوجدها جميعاً تجيب عن سؤال واحد عرض لكل منهم بصدد مشكلة الحياة ، وتنتهي إلى نتيجة واحدة :

يقول سقراط : « إن حياة الجسد شر وأكذوبة . وإذن فتحطيم حياة الجسد نعمة ، يجب أن نتمناها . »

ويقول شوبنهور : « الحياة هي مالا ينبغي أن يكون — هي شر ، والانتقال إلى العدم هو وحده ما في الحياة من خير . »

ويقول سليمان : « كل ما في الحياة — من حماقة وحكمة وثراء وفقر ومرح وحزن — باطل وعدم . يموت المرء ولا يبقى منه شيء وهذا سخف » .

ويقول بوذا : « يستحيل على المرء أن يعيش وهو يدرك أن الألم والضعف والشيخوخة والموت أمور لا مفر منها — يجب أن نتحرر من الحياة الممكنة كلها » .

ويعلق تولستوي على هذه الأقوال بما يؤيد دعوانا التي سبقت.

(١) نفس المصدر .

(١) إرادة الحياة

(٢) « اعترافات تولستوي » ترجمة الأستاذ محمود محمد ص ٤٢

الإشارة إليها وأعني انتساب المذاهب الفلسفية إلى الحكمة الشعبية فيقول :

« وما ذكره أصحاب العقول الجبارة فكرت فيه وأحسست به وعبرت عنه ملايين اللاإين من أمثالهم من البشر . وقد فكرت فيه وأحسست به أنا كذلك » .

كتاب الحياة :

لعل قارئي العزيز قد اقتنع بعد هذا العرض لنصوص الكتاب والحكماء أن حس هؤلاء الدقيق يكفل لهم في كثير من الأحيان النفاذ إلى كنه الحياة ، وأن حكمهم السليم المبرأ عن الهوى وسيلة من وسائل المعرفة الفلسفية ، وأن إنتاجهم لا يخلو من نظرات عامة في الكون لم تفسدها الصنعة ولم يعوزها الصدق في التصور ولذلك قد تبين أن كتب الفلاسفة ليست وحدها المصدر الذي نستقي منه الفلسفة ، فقد نستقيها من حكمة الشعب كما بينا في مقال سابق ، وقد نستخلصها من الأدب الروائي أو الشعر والأساطير وقد نهتدي إليها في مسلك كثير من الناس ، وبالجملة قد نتعلمها في مدرسة الحياة . وقد تنبه ديكارت إلى هذه الحقيقة فأنحى باللائمة على العلوم التي تدارسها في المدرسة ، واتهم بالقصور والتفاهة المعارف التي تلقاها على أساتذته . فألقى بالكتب عرض الحائط ، وعول على أن يبدأ حياته الفكرية من جديد بقراءة « الكتاب الكبير » كتاب الحياة . فأقبل على الناس يضطرب وإياهم في مناكب الحياة ، وأنفق بقية أيام شبابه في الارتحال ورؤية القصور ، وتعلم صنعة الحرب على يد أشهر جندي في أوربا في ذلك الحين وهو الهولندي « موريس دى ناسو » . ثم رحل إلى ألمانيا ، وهناك ساهم إلى جانب بافاريا في مقاتلة بوهيميا الثائرة في الحرب المعروفة بحرب الثلاثين ، وخالط مختلف الأجناس والشخصيات . وهكذا طفق يستمد فلسفته من مصدرين : نفسه حيث « النور الفطري وحيث تكمن الحقيقة كمون النار في الحجر الصوان » والعالم حيث الحقيقة حية بسيطة لم يفسدها التجريد والجفاف ، فجاءت فلسفته متلألئاً للوضوح والإشراق والتكامل المذهبي ، واستحق بجدارة لقب « أبو الفلسفة الحديثة » .

الأبراج العاجية :

إن المتفلسفين الأكاديميين ليكشفون عن غرور أحمق — إذ يزدرون هذه المصادر الكبرى ويعتزلون في أبراج عاجية شاهقة بمعزل عن الحياة التي تلفهم جسداً وعقلا ، يقضون العمر فيها يجترون أفكاراً جامدة لا حياة فيها ، فارغة خلوا من المعنى ، متوهمين أنها الحق في حين أنه هنالك عند أقدامهم : في عقول المحنكين ، ذوي الحس الدقيق والبصيرة النافذة من العامة والكتاب ، ممن لم يفسد تفكيرهم التمحل . إلى هؤلاء أسوق سخرية عمر الخيام من الفلاسفة ليطامنوا من كبريائهم :

« طالما خضنا غمار الفلسفة وسمعنا من صواب وسفه
وخبطنا في مضل منسفه[1] ثم صرنا حيث كنا أولاً
لم نسر نحو المدى قيد ذراع

كم بذرنا حكمة الفكر البصير وسقيناها حيا[2] العقل الغزير
ما جنينا غير بهتان وزور ما علمنا غير أنا في الملا
شعل البرق خبت بعد التماع[3]

ولا يفوتني أن أعيد إلى الأذهان سخرية باسكال[4] من فلسفة أفلاطون في عبارته الشهيرة « أراد أفلاطون أن يعلو على الطبيعة فسقط إلى الحضيض . » إذا كان أفلاطون العبقري الفذ مهدداً بالسقوط إلى الحضيض فما رأى المتفلسفين الذين يقيمون بينهم وبين البصيرة الشعبية سداً منيعاً ؟ لقد كان لأفلاطون من تماسك مذهبه أسس مكينة تحميه من السقوط فبماذا يتشبث أصدقاؤنا هؤلاء وهم يحتمون بأبراج من خيوط العنكبوت ؟!

خاتمة :

بعد كل ما تقدم أخشى أن نسف في فهم الفلسفة ونظن كل نظرة عابرة فلسفة كبرى ، وصاحبها فيلسوفاً كبيراً ، فنخدع عن أنفسنا ، ويركبنا الغرور . ولذلك أنبه القارىء إلى أن تلك النظرات ليست سوى محاولات للنظر الفلسفي بأنها الحكيم الشعبي أو الروائي ، ثم إنها محاولات تلونها الانفعالات والأمزجة

(١) المضل المسفة هو الجهالة من الأرض يخبط فيها المرء غير هدى .
(٢) الحيا المطر .
(٣) الرباعيات ترجمة الأستاذ محمد السباعي .
(٤) فيلسوف ورياضي سويسري .

الخاصة ، ولا تكاد تنفصل عن السلوك العملي وشئون الأخلاق ، وقلما تتعرض لمسائل ما بعد الطبيعة . فلسفة الشعب مزيج من القول والفعل والنقل ، مصدرها تجارب العيش وصروف الأيام ، أفراح الحياة وأتراحها ؛ ويقين الشعب بفلسفته أشبه باليقين الديني لا يحتاج إلى دليل أو برهان ، وذلك ما يخلع عليها حرارة تعوز مذاهب الفلاسفة التي تتميز ببرود المنطق وجفاف الجدل . وأداة الفلسفة الشعبية ليست المنطق الصوري ، ولكنها ملكة الحكم السليم التي يدعوها الفرنسيون (bon sens) ويسميها الإنجليز (Common sense) ، وأثرها في نفسية الشعب عميق غاية العمق : تثبت فؤاده ، وتعزيه عما يصادف من محن ، وتبرر كثيراً من تصرفاته . أما صورتها العامة فيعوزها التكامل لأنها نظرات مبعثرة وخواطر متفرقة يندر أن تأتلف كلا واحداً .

أما الفلسفة بالمعنى الخاص فبريئة من أمرين : النظرة السطحية ، والنظرة الجزئية .(١) فلسفة الخاصة (أي فلسفة الفلاسفة) تهدف إلى تفسير عام شامل للكون في مجموعه ، ولذلك كنا نجد تفسيرات الفيلسوف لمختلف نواحي الكون تنتظم كلا واحداً متناسقاً هو « المذهب » . نواة المذهب الفلسفي نظرية كبرى تتشعب منها أو تدور في فلكها نظريات فرعية صغرى في المعرفة والوجود والأخلاق ، بل والسياسة والجمال أحياناً . نواة مذهب أفلاطون مثلا « نظرية المثل » ، وأرسطو « الهيولى أي المادة الأولى والصورة » ، وأفلوطين « الفيض الإلهي » ، وشوبنهور « إرادة الحياة » الخ ...

وللمذاهب الفلسفية قيمة كبرى فهي الوسيلة التي ينمي بها العقل الإنساني أعمق نظراته وتفسيراته . إنها تعينه على تعمق كنه الحقيقة ، وتعطي الأفكار المبعثرة حياة وحركة وقوة . مثل المذهب مثل البلورة تلم شتات الأشعة ، وتركزها في نقطة ضوئية صغيرة ، ولكنها أكثر التماعاً والتهاباً من الأشعة المتفرقة . وبدون هذه الجهود التي يحتملها الفلاسفة من ذوي المذاهب المتكاملة ، فإن الأفكار الإنسانية المتفرقة قد تومض في لحظات من التأمل المتكاسل المتراخي وسرعان ما ينطفىء الوميض .

وأضيف أخيراً أن الفيلسوف أقدر من الفكر العادي على التحرر من شطحات الخيال ، ونزوات الانفعال ، أكثر منه فردية وابتعاداً عن تيار الحياة الجارف الرتيب . لا يؤمن بأمر قبل أن يتناوله بالنقد ، ولا يسلم برأي دون تمحيص ؛ لا تراوده فكرة إلا قلبها على جميع الوجوه ؛ تلقى إليه بالرأي فيطلب الدليل ، وتنقل إليه الخبر فيلتمس البرهان ، وتقدم إليه التفسير فيسعى إلى تفسير لذلك التفسير . منهجه الشك قبل اليقين . الشك في كل شيء حتى في عقله ، وشعاره النقد قبل التسليم . الاستسلام للعاطفة عنده خطأ مبين ، والرضا بالمزاعم الجارية إثم لا يغتفر . عقل مستديم القلق ، وذهن لا نهائي التساؤل ، وفكر لا يني عن التمحيص . النظرة العابرة لا ترضيه ، واستكشاف الجزئيات لا يكفيه ، فميدانه الكون في مجموعه ، وهدفه الحقيقة كاملة غير منقوصة .

(الإسكندرية) عبد العزيز المليجي

(١) أرجو أن أوفق في مقالات قادمة إلى الحديث عن الفلسفة بالمعنى الخاص .

جيوفانى بوكاشيو

للسيدة الفاضلة ماهرة النقشبندى

١٣١٣ — ١٣٧٥

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ان المقارنة بين الكتابين تدفعنا إلى المقارنة بين الفن الأدبى فى اللغة اللاتينية وبينه فى اللغة الإنجليزية . يقوم الفن فى اللاتينية على التصميم فى القصة وعلى رسم حوادثها وعدم الاهتمام بأشخاصها .

أما فى اللغة الإنجليزية فيعتمد على الأشخاص وجمل الفن متصلاً بهم وموسوماً بما فى نفوسهم وطباعهم من خير أو شر وتعاسة ونعيم . وعلى هذا الأساس يجد القارئ ما يبعث السأم فى نفسه وهو يقرأ قصص كانتبارى ، ولكن أشخاصها يمحون فى سأمه ما فيهم من حياة وحركة . أما فى قصص دى كامرون ، فإن القصص رائعة والأشخاص أموات لا يتحركون . فالأشخاص فى دى كامرون غير مسؤولين مطلقاً عما يدور على ألسنتهم من حوار وقصص قد لا يتفق فى كثير أو قليل مع احتشام الفتاة التى تقصها ، حينما تتصل المعانى بالأدب الجنسى المكشوف الذى ضرب فيه بوكاشيو بسهم وافر . وليس فى استطاعة الناقد إلا أن يسقط هذه الشخصيات من اعتباراتها الشكلية التى وضعت مرغمة فيها وعلى وجهها أقنعة مستعارة لا تتصل بها ولا تمثلها ... وناقل الكفر ليس بكافر ، إذا أراد أن ينصفها ويدلل على مكانها من الحقيقة ...

لكن هذه الشخصيات فى بعض أحاديثها خارج القصص تصور لنا المناظر الجميلة حول فلورنسا ، والقصور المترفة ، والمروج التى تجرى فيها الأنهار تصويراً رائعاً ...

لم تقع حوادث القصص المائة فى مكان واحد ، وإنما وقعت فى ثلاثة أماكن : أولها يبعد ميلين عن فلورنسا ، وهو قصر باذخ تقوم على أطرافه حدائق غناء ، وسواق جارية ، وحقول خضر ، وتلال منطاة بأشجار الفاكهة ، وموقعه الآن على مقربة من قرية ستجنانو التى كانت نصلها طريقة ضيقة تبعد ميلين عن ضاحية بورنالا كروز ، وكان هذا القصر يقع فى مزرعة تدعى بوجيو جراردو وهى حصة مارجريتا زوجة أبيه من إرثها من أسرتها .

وفى نهاية اليوم الثانى بعد أن تم اختيار نيفيل ملكة لليوم الثالث اقترحت عليهم أن يزوروا مكاناً جديداً بالغت فى مدحه ، وهو قصر فخم على سفوح تلال الفيزول ويسمى فيلا بالميرى ...

وفى مساء اليوم السادس ، وكان يوماً من أيام الربيع ، وبعد الانتهاء من القصص ، وكانت قصيرة ، وبينما كان الرجال الثلاثة منهمكين فى لعبة النرد ، أشارت أليسا من طرف خفى إلى صواحبها الست ، فتجمعن واقترحت عليهن الذهاب إلى مكان جميل جداً يدعى لافلا ويلدون . وبعد مسيرة ميل واحد وصلن إلى مجرى يسيل منه ماء عذب رقراق كالبلور ، وكان السهل الذى يجرى فيه ذلك المجرى عبارة عن دائرة قطرها نصف ميل تحيط بها ستة تلال وينبع من بين تلين ، ويكون فى طرف السهل بركة لا يزيد عمقها عن بضعة أقدام وقد أغراهن صمت المكان والماء فنزعن ملابسهن وابتدأن فى الاستحمام ، ولا تزال هذه البقعة تدعى بالإسم نفسه حتى الآن ...

ونعود الآن إلى القصص نفسها فنرى أنها تعود فى أصولها إلى المصريين القدامى والعرب والفرس والفرنسيين . ومن المحقق أن بوكاشيو لم يعرف مصادرها ، وإنما سمعها فى نابولى وأنحاء إيطاليا ، ولعل ثلثها يعود فى أصوله إلى المصادر الفرنسية وقسما إلى الهنود والفرس ، والقليل إلى المصادر اللاتينية . إننا نستطيع توجيه التهمة نفسها إلى شكسبير وتشوسر ونتهمهما بالنقل وعدم الإبداع . ولكننا حين نوجه التهمة نفسها إلى بوكاشيو نقول واثقين إنه لم يعرف تلك المصادر ، وإنما رأى فيها عملا إبداعياً أصيلا ...

إنه كتاب يتصل بالناس كما تتصل بهم الحياة ، يتصل بهم فى الجد واللهو ، فى الفضيلة والرذيلة ، فى الشر والخير ، فى التهكم والمجون ، وهو إلى جانب ذلك مفعم بالمجازفات والمآسى والأفراح والنهايات التى يلعب الحظ فيها دوراً كبيراً ، وهو فى تفصيله مجموعات من الحقائق الصحيحة أضفت عليها عين الفنان اليقظة ثوباً قشيباً تراءت فيه أعمال الناس وعاداتهم وطباعهم فى ذلك العصر واضحة جلية .. إنه البؤرة التى انعكست عليها الحياة بكل

ما فيها من مظاهر ... فهو كتاب قريب إلى الإنسانية أكثر من أى كتاب آخر لدانتى أوتبرارك ، حتى قصص شوسر ، فإن الإنسانية فيها غير كاملة حينما تتصل بالحب وما يدور وراء النفس الإنسانية من شعور مكبوت ...

وتتسم هذه القصص بتنوع صور الحياة التى عبرت عنها ، فهى تكشف لنا القناع عن عدد من المتهورين المجازفين ، ومن الحياة الخاصة التى يحياها وراء الستار عدد آخر من الناس تعرفهم على حقيقتهم المعرفة الصحيحة ، وهذا هو فن بوكاشيو ، لأن هذه القصص لم تكن عملا إبداعياً ولا دراسة للأخلاق ، وإنما هى قصص تختلف فى طولها وقصرها باختلاف الموضوع الذى تتصل به عن مجازفات ، أو حب غير مشروع ، أو راهب ، أو امرأة ؛ إما للتسلية أو إثارة الضحك وإشاعة السرور ، أو جواب مختصر لتوبيخ شخص ، أو لدفع خطر جسيم . ومهما كان نوع هذه القصص ، على روعتها وشهرتها فإنها ليست الدافع الوحيد الذى يدفع المولعين بديكامرون إلى قراءتها المرة بعد الأخرى فى رغبة وسرور .

إن سر خلود هذا الكتاب هو الجماهير الحية التى تتحرك فيه . هنالك شخصيات أغرجها فنه فيه حية وبقيت كذلك وستبقى إلى يوم يبعثون تثير فى قرائها الدهشة والإعجاب إثارة لا تقل عما تفعله شخصيات شكسبير الخالدة فينا ... لقد عاشت للأبد لأن الفن الخالد حملها إلى عالم الخلود ...

إنه صورة مدنرة للدنيا ، ومرآة انعكست عليها حياة الناس فى ذلك الزمن ، إلا أن المثالية والهدف السامى الذى يرفع الأعين إلى النور ، ويجعل للعمل الفنى قيمته التى لا ينكرها أحد ، لا توجدان فيه .

أما الأدب المكشوف والتعابير الجنسية الساخرة التى تفيض بها القصص فمرده إلى الأصول الفرنسية التى نقل عنها وهذبها كثيراً ... ومن المحقق أن التعبير عن الأدب الجنسى المكشوف فى ذلك الوقت ، كما هو الآن غير مألوف ولا مستساغ ... لكن بوكاشيو جعل منه فناً أبدع فيه أيما إبداع ، وأخرجه من مكانه المستور من حياة الأفراد والجماعات ورجال الدين إلى الحياة اليومية وجعله ملموساً مألوفاً يتحدث عنه متهكما كأنه يتحدث عن شىء لا يتعارض مع قيم المجتمع الروحية والخلقية .

إن كل ما فى الكتاب مبالغ فيه ، وخصوصاً الموضوع الجنسى الذى أسرف فيه إسرافاً عظيما ، فصور الشبان والشابات غارقين فى الإثم والفجور والخلاعة إلى أبعد الحدود ، وصور الزوجة تلهو ما شاء لها اللهو والزوج غير مكترث بما يدور حوله ، وصور رجال الدين لا يعملون شيئاً عدا الانقياد للشهوات والسير وراء مطالب الجسد ... يصور كل ذلك فى تهكم لاذع وقسوة متناهية ... !

والدافع الأساسى الخفى الذى دفعه إلى ذلك — كما أعتقد — هو طفولته الأولى ، فعندما فتح عينيه فى الحياة وجد أنه ابن غير شرعى لأبيه ... وحينما فهم ما يدور حوله من حقائق ، وأدرك قيود الكنيسة والمجتمع ، وأنه غير مسؤول عن خطأ أبيه ، جرد القلم لينتقم لأمه من جان ، فجعل نساء عصره ساقطات ، وتلفت إلى رجال الدين فتأثر منهم بما يضطرم فى قلبه من ألم وحقد وحرمان .

وعلى هذا الأساس ، لا يجمل بنا أن نحكم على نساء عصره بالحكم الجائر الذى أصدره عليهن فى قصصه ، ولا يصح كذلك أن نتصور رجال الدين من الرهبان والقساوسة غارقين فى الفجور كما أرادهم أن يكونوا ، ومع ذلك فلا يعنى أننا ننفى نفياً باتاً عن المجتمع فى عصره بعض الصور المخجلة التى صور فيها الرهبان والنساء ... لقد كان فناناً لا يشق له غبار فى « الكوميديا » ، وتربة صالحة من هذا النوع تنمو فيها بذور التهكم والمجون والعبث .

ويجدر بنا أن نشك كثيراً فى صحة هذه القصص . إن الرذائل تثير عادة ضجة أكثر من الفضائل ، ورجال الدين فى القرن الرابع عشر فى إيطاليا كانوا يعدون أنحاء الكرة الأرضية بالبشرين الذين تلهبهم الحماسة والعقيدة لنشر دينهم بين الشعوب ، وإيطاليا نفسها كانت المكان الوحيد الذى اشتهر بالقديسين ، فلا يعقل — والحالة هذه — أن يسوء سلوك رجال الدين إلى هذا الحد دون أن يكون له رد فعل سيئ على الكنيسة فى إيطاليا وخارجها . ولكن هذا لا يمنع من وجود طبقة غير نقية السمعة اختلطت برجال الدين فشوهت سمعتهم لأنه لم يسبق لأحد أن يشك فى أخلاق الناس فى القرن الثالث عشر بسبب جحيم دانتى ، وتمشياً مع ذلك ، لا يجوز أن نحكم على أخلاق الناس فى القرن الرابع عشر بسبب قصص ديكامرون .

إن هذا الكتاب والكوميديا الإلهية يعبران تعبيراً صادقاً بحكم ما فيهما من قوة وحيوية ونشاط عن العصر الذي ولدا فيه ، وعلى ما كان عليه ذلك العصر من حركة ووعى .

إن انتشار دى كامرون وحماس الناس له ، لم يحولا دون النقد الشديد الذي وجه إليه في ذلك الزمان ، ونجد دليلا على ذلك في مقدمة اليوم الرابع وفي نهاية الكتاب . لقد قاومته الكنيسة مقاومة عنيفة ، لكن سلطانه غلب سلطانها ، فكان ينتشر في أوربا وانجلترا ، كما تنتشر النار في الهشيم . ويعتبر في نظر النقد أعظم أثر نثرى كتب في اللسان التسكانى ، وأسلوبه غاية في الجمال وغاية في التعقيد ... ولكن من يستطيع أن يهاجمه ؟ لقد مكن لنفسه في عصور التاريخ في نفوس البشر ، لأنه صرخة مدوية من أعماق الإنسانية على ممر العصور !

إن مخطوطات الكتاب الأصلية قد نفدت ، وإن أقدم مخطوطاته تلك التي كتبها فرنسكو مانيلى في سنة ١٣٦٨ . والنسخة الخطية المحفوظة في برلين باسم هملتن هي المعتمد عليها .

لقد أعيد طبع هذا الكتاب عشر مرات في القرن الخامس عشر وسبعة وسبعين طبعة في القرن السادس عشر ، ولم ينشأ أديب في إيطاليا إلا وتتلمذ على هذا الكتاب في عصور أدب هذه اللغة ...

أما نصيبه من الذيوع خارج إيطاليا فكان عظيما جداً ، فقد تتلمذ عليه موليير ولافونتين وهانس ساكس ولوب دى فيجا . أما في انجلترا ، فقد نقل عنه كثير من الأدباء والشعراء ، وكان الوحى الذي استوحوا منه أدبهم الخالد ، منهم تشوسر وسدنى وشكسبير ودريدن وكيتس وتنسون ، الأمر الذي يظهر مقدار ما تدين به انجلترا لبوكاشيو !

إن أدب اللغة الإنكليزية لا يعرف كتاباً نثرياً أصيلا ، ويرجع ذلك إلى أن التوراة قد أصبحت جزءاً من الأدب المنثور في هذه اللغة ، ولكن « إتام » يقول : « إن كثيراً من قصص ديكامرون كانت تنتشر بين الناس أكثر من قصص التوراة نفسها » .

لقد ظهرت كثير من قصص ديكامرون مترجمة إلى الإنجليزية في القرن السادس عشر . وفي عام ١٦٢٠ ظهرت الترجمة الكاملة لهذا الكتاب منقولة من اللغة الفرنسية ترجمة أنطيون لاما كون ، لكنها لم تكن دقيقة كما يجب ، وقد قام الناشر إسحاق جكارد بطبع هذه الترجمة في مجلدين ، ولم تكن تحمل اسم المترجم ، وأعيد طبع هذه الترجمة خمس مرات في القرن السابع عشر .

ولم تظهر الترجمة الدقيقة الوافية لهذا الكتاب إلا عام ١٨٨٦ ، فقد نقلها المستر جون بن لجمية فلون .

أما الترجمة التي تداولها الأيدى وانتشرت في الأسواق ، فقد قام بها المستر « ج . م . رج » ، وهي دقيقة ، ولعلها أقرب الترجمات إلى روح هذا الكتاب القيم .

(بغداد) **ماهرة النقشبندى**

من ظرفاء العصر العباسي :

أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٦ —

وأبو دلامة — مرحه وهزله — كان يلتزم مع المهدي الجد ، فيسري عنه بغير الدعابة إذا وجد الموقف يستدعي الوقار : وما ذاك من هذا الظريف إلا دليل جديد على حسن تفهمه لنفسية الخليفة ومهارته في استخدام الأساليب المرضية له حسب الظروف والمناسبات :

كان عند المهدي رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلم عليه . فأتى المهدي بعلج[1] فأمر المرواني بضرب عنقه ، فأخذ السيف وقام فضربه فنبا السيف عنه ، فرمى به المرواني وقال : لو كان من سيوفنا ما نبا . فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغير لونه وبان فيه . فقام يقطين[2] فأخذ السيف وحسر عن ذراعيه ثم ضرب العلج فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلا في أيدي الأولياء ، ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده .

أيهذا الإمام سيفك ماض … وبكف الولي غير كهام[3]
فإذا ما نبا بكف علمنا … أنها كف مبغض للإمام

فسرى عن المهدي وقام من مجلسه ، وأمر حجابه بقتل المرواني فقتل .

وهذه المواقف التي كان يقفها أبو دلامة جاداً على هزله ، وقوراً على مرحه ، حببت تصرفاته إلى المهدي فرضي عنه ودلله

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .
(٢) هو يقطين بن موسى البغدادي .
(٣) الكهام من السيوف الكليل الذي لا يقطع

مثل أبيه أو أكثر : فإذا كان المنصور قد أعفاه من صلاة الجماعة بالقصر ومن لبس السواد والقلانس دون الناس وأخرجه من حبس الدجاج رغم سكره — فإن الخليفة المهدي عجل جائزة كان قد أمر له بها حين كتب إليه رقعته يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهي :

أدعوك بالرحم التي هي جمعت … في القرب بين قريبنا والأبعد
ألا سمعت ، وأنت أكرم من مشى … من منشد يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبداً … أرجو رجاء الصائم المتعبد
ولقيت من أمر الصيام وحره … أمرين قيسا بالعذاب المؤصد[1]
وسجدت حتى جبهتي مشجوجة … مما يناطحني الحصا في المسجد
فامنن بتسريحي بعطلك بالذي … أسلفتنيه من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته غضب وقال : يا عاض كذا من أمه أي قرابة بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما . وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه[2] .

فنفهم من القصة أنه لولا شديد عطف المهدي على أبي دلامة لما أحسن جزاءه رغم شكواه من الصوم ، ونفهم منها أن أبا دلامة كان رقيق الدين ، فهو يلقى من أمر الصيام وحره أمرين لا يشبههما إلا بالعذاب المطبق ، وهو يتضجر من كثرة ما سجد حتى ليدعي أن جبهته قد شجت مما يؤثر فيها من الحصى المنتثر في أرض المسجد: وما كان ليعترف بهذا مظهراً ضجره وملاله لولا رقة دينه ، وضعف يقينه .

وكيف لا يكون رقيق الدين ضعيف اليقين وهو مدمن على شرب الخمر لا يكاد يصل إلى شيء من المال حتى يسكر به . وكثيراً ما كان يعطى المال ليقوم بفريضة دينية يستغفر بها من ماضيه ، ويصلح بها حاضره ، فلا ينثره إلا في المعصية التي أحاطت به ورانت على قلبه واستحوذت على فؤاده !

عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي[3] على الحج . فقال لأبي

(١) المؤصد : المطبق .
(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٤ .
(٣) هو ابن عم السفاح ، كان أبوه داود أمير مكة والمدينة ، واستخلف حين احتضر على عمله ولده موسى . فاستعمل السفاح خاله زياداً على مكة ، وموسى بن داود هنا على إمرة المدينة .

دلامة : أحجج مني ولك عشرة آلاف درهم . فقال هاتها ؛ فدفعت إليه ، فأخذها وهرب إلى السواد فجعل ينفقها هناك ويشرب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدر عليه ، وخشي فوت الحج فخرج . فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى أخرى وهو سكران ، فأمر بأخذه وتقييده ، وطرحه في محمل بين يديه ففعل ذلك به . فلما سار غير بعيد أقبل على موسى وناداه :

يا أيها الناس قولوا أجمعون معاً ... صلى الإله على موسى بن داود

كأن ديباجتي خديه من ذهب ... إذا بدا لك في أثوابه السود

إني أعوذ بداود وأعظمه ... من أن أكلف حجاً يا ابن داود

خبرت أن طريق الحج معطشة ... من الشراب وما شربي بتصريد[1]

والله مالي من أجر فتطلبه ... ولا الثناء على ديني بمحمود

فقال موسى : ألقوه لعنه الله عن المحمل ودعوه ينصرف ، فألقي وعاد إلى قصفه بالسواد ، حتى نفدت العشرة آلاف درهم[2] .

ولا ريب أن أبا دلامة لم يكذب في وصف نفسه ، فما فيه أجر فيطلبه أحد ، وليس الثناء على دينه بمحمود ، فعلام يكلف بالحج وسواه من الفروض ؟

لذلك قال صاحب الأغاني في وصفه : « كان فاسد الدين ، رديء المذهب ، مرتكباً للمحارم ، مضيعاً للفروض ، مجاهراً بذلك . وكان يعلم هذا منه ويعرف به ، فيتجافى عنه للطف محله »[3]

وهو — لفساد دينه — لم يكن يكتفي بشرب الخمر والعربدة ، وإنما كان يقضي أكثر أوقاته في أسواق النخاسين الذين يبيعون الرقيق ، ليستمتع برؤية الجواري الحسان . وكان كثير الزيارة للجنيد النخاس ، إذ كان يتعشق جارية له ويبغضه ، فجاءه يوماً فقال : أخرج لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولست بمشترٍ؟! قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخ يمدح ويطري . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو تقول فيها شعراً . قال : فاحلف بعتقها أن ترويها إياه وتأمرها بإنشاده من أتاك يعترضها ولا تحجبها . فحلف لا يحجبها .

فقال أبو دلامة :

إني لأحسب أن سأمسي ميتاً ... أو سوف أصبح ثم لا أمسي

من حب جارية الجنيد وبغضه ... وكلاهما قاضٍ على نفسي

فكلاهما يشقى به سقمي ... فإذا تكلم عاد لي نكسي[1]

فما قولك بهذا الشيخ الذي لم يمنعه العجز والكبر من خروج الجواري الحسان إليه ليملأ عينيه من جمالهن الجذاب ، وسحرهن الخلاب ؟

وإنك لترى صورة من أخلاق أبي دلامة في مسلكه مع الناس ومعاملته لهم — ولا سيما المادحين منهم — فهو يقسم كاذباً ، وهو يلفق الأحلام ، وهو لا يبالي بأية وسيلة يصل إلى مبتغاه : مر أبو دلامة بتمار (بالكوفة) فقال له :

رأيتك أطعمتني في المنام ... قواصر[2] من تمرك البارحة

فأم العيال وصبيانها ... إلى الباب أعينهم طامحة !

فأعطاه جلتي[3] تمر وقال له : إن رأيت هذه الرؤيا ثانية لم يصح تفسيرها . فأخذها وانصرف[4] .

والتمار الحق في ألا يصدق منامه مرة ثانية ، فإنه مستعد للتحلم وتلفيق الرؤى في كل يوم ما دام يأخذ جلات التمر وقواصره ، ومستعد للكذب أمام كل مخلوق ما دام ينتظر من ورائه منفعة ، لأنه كان نفعياً بكل ما في الكلمة من معنى ، ولم يكن يخجل من التماس المنفعة والعمد إليها حتى مع الذين لا ينتظرون أن يخدعهم ولو خدع الناس جميعاً .

دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يعوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ، ثم تماثل منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب يصف له أدوية تقوي بدنه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابن الكافرة ! أتصف الأدوية لرجل أضعفه المرض ! ما أردت والله إلا قتله . ثم التفت إلى إسحاق فقال :

(١) صرد شربه : قطعه .

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ٢٤٦ وقوله (العشرة آلاف درهم) لغة ضعيفة ، وإنما أثبتناها نقلا عن الأصل ، والأفصح اللغات : عشرة الآلاف درهم

(٣) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٥

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٦٩

(٢) القواصر : واحدها قوصرة ، وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوادي

(٣) الجلة (بالضم) قفة كبيرة للتمر

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥٢

إسمع أيها الأمـــير منى . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة .
فأنشأ يقول :

خ عنك الطبيب واسمع لنعتى إننى ناصح من النصاح
ذو تجاريب قد تقلبت فى الصـــنعة دهراً وفى السقام المتاح
غاد هذا الكباب كل صباح من متون الفتية السحاح[(١)]
فإذا ما عطشت فاشرب ثلاثاً من عتيق فى الشم كالتفاح
ثم عند المساء فاعكف على ذا وعلى ذا بأعظم الأقداح
فتقوى ذا الضعف منك وتلفى عن ليال أصح هذى الصحاح
ذا شفاء ودع مقالة هذا ... ...

ونسكت عن الشطر الثانى من البيت الأخير لأن فيه ألفاظاً ينبو عنها الذوق ، وننزه عنها القلم . لكنها — على كل حال — أضحكت إسحاق وعواده فأمر لأبى دلامة بخمسمائة درهم . وكان الطبيب نصرانياً فقال : أعوذ بالله من شرك يا ركل (يريد يا رجل) ثم قال الطبيب لإسحاق : إقبل منى أصلحك الله ولا تسألنى عن شيء قدامه . فقال أبو دلامة : أما وقد أخذت أجرة صفقتى وقضيت الحق فى نصح صديقى ، فانعت له الآن أنت ما أحببت[(٢)]

فهل من النصيحة أن يدعو المريض إلى مجانبة الطبيب وأكل الكباب والعكوف على شرب الخمر وهو مازال ضعيفاً يطلب أن يتقوى ، أم رغبة أبى دلامة فى إضحاك إسحاق وعواده هى التى حملته على هذا النعت العجيب ، ليصل إلى شيء من النفع القريب ؟

ولكن لا تنس أن الناصح ظريف ، وبمثل هذا ينصح الظرفاء !

(النهاية فى العدد القادم) صبحى إبراهيم الصالح

(١) السحاح : السمان ، وأحدها ساح وساحة بالحاء المشددة
(٢) الأغانى ج ١٠ ص ٧٢٠

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم

للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان

يا وطنى ، مالك يُحنى على روحك معنى الموت ، معنى العدم
أمضَّك الجرح الذى خانه أساته فى المأزق المحتدم ؟!
جرحك ، ما أعمق أغواره كم يتنزّى تحت ناب الألم
إن الألى استصرختهم ضارعاً تحسبهم ذراك والمعتصم
ما بالهم قد حال من دونهم ودون مأساتك حسٌ أصم
قلبت فيهم طرفَ مستنجد فمزك المندفع المقتحم
واخجلتا ، حتام أهواؤهم تغرقهم فى لجها الملتطم !
همُ الأنانيون ... قد أغلقوا قلوبهم دون البلاء الملم
لا روح يستنهض من عزمهم لا نخوة تحفزهم ، لا همم
أحنوا رقاب الذل ، يا ضعفهم واستسلموا للقادر المحتكم

يا هذه الأقدار لا ترحمى فرائسَ الضعف ، بقايا الرمم
بالمول المحموم أهوى على تلك الجذوع الناخرات الحطم
كونى أتِيّاً عارماً واجرفى كلَّ ضعيف الروح واهى القدم
كونى كما شئت ، لظى يغتلى أو عاصفاً يقذف حمر الحمم
واكتسحى أنقاض هذا الحمى من كل ركن خائر ، منهدم
اكتسحيها وانفضى أمتى مما علاها من رماد القدم
ستنجلى الغمرة يا موطنى ويمسح الفجر غواشى الظلم
والأمل الظامئ مهما ذوى لسوف يروى بلهيب ودم

فالجوهر الكامن فى أمتى ما يأتلى يحمل معنى الضرم
هو الشباب الحر ذخر الحمى اليقظ المستوفز المنتقم
غلوا جناحيه وقالوا انطلق وشارف الأفق وجز بالقمم
واستنهضوه لاقتحام اللظى .. والقيد ، ياللقيد ! يدمى القدم
لكن للثأر غداً هبّةً جارفة الهول ، عصوفاً عمم
فالضربة الصماء قد ألهبت فى كل حر جذوة تضطرم
لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفى دم الأحرار تغلى النقم !

(نابلس) فدوى عبد الفتاح طوقان



[illegible]وقـــــت

للأ[illegible] محمد فتحى عبد الوهاب

يقابلك زيد [illegible]س فى الطري[illegible] ، ويسألك عن الوقت . فتنظر إلى ساعتك [illegible]جيب قائلاً : « إنها الثالثة بعد الظهر » . ولكنه يهز رأ[illegible] ويقول إنما يقصد بسؤاله تعريف الوقت . فتتولاك الحيرة و[illegible]جب . ثم تسير وأنت تتساءل : ماهو الوقت ؟ وتذهب وتبحث [illegible]كتب والمعاجم فتخبرك بأن الوقت : هو الذى نتميز به الحو[illegible]ت بدلالة إلى « ما قبل » أو « ما بعد » أو « البداية » أو « [illegible] » فلا يساعدك هذا التعريف فى شىء . وتذهب إلى صديق[illegible] لتسأله عن معنى الوقت ، فيفكر ملياً قبل أن يقول لك : « إنه الفترة التى بين حادث وآخر » فتزداد حيرتك . فيتبسم [illegible]ك ويخبرك أنه لا يوجد حتى الآن تعريف صريح للوقت . و[illegible]كن أقرب تعريف إليه هو الذى أخبرك به .

والوقت فى الو[illegible]ع أحد الأشياء التى لا نستطيع تعريفها تعريفاً صريحاً كالحياة و[illegible]وت والكهرباء وما إلى ذلك من تلك التى لا ندركها إلا عن طر[illegible]ق تأثيرها علينا .

وقد يقول قائل [illegible] الوقت هو حركة عقربى الساعة . ولكنه قول غير صحيح . و[illegible] هذه الحركة هى أسهل طريق لمعرفة مسار الوقت ؛ فالساعة لا [illegible]ا على الدلالة على مقدار الوقت الذى مرّ منذ أن وقع حادث [illegible] أمد طويل . إنها لا تصنع الوقت ، بل كل ما تعمله أن تسجل [illegible]وقت فى الحاضر .

والشمس أ[illegible]رس للوقت فى العالم ، ولو أنها لا تخلو من أخطاء طفيفة . فطول [illegible]نهار فى منطقة خط الاستواء يعادل طول الليل خلال سنة . [illegible]ى القطبين فهناك ستة أشهر من النهار تعقبها ستة أشهر من [illegible]ل ، بينما تختلف أوقات شروق الشمس وغروبها فى المناطق الوسطى باختلاف الفصول .

والأرض تدور حول محورها فى ٢٤ ساعة . والفترة التى تمر بانتهاء دورة كاملة تسمى باليوم . ثم أن الأرض ترحل حول الشمس فيما يقرب من ٣٦٥ يوماً ، وهـذا ما نسميه بالعام . هـــذا هو التقسيم الطبيعى للوقت . بيد أننا — للسهولة — نقسم كلا من اليوم والسنة إلى فترات صغيرة . فاليوم يقسم إلى ساعات ودقائق وثوان ، والسنة إلى شهور وأسابيع

والناس يقيسون الوقت عن طريق الشمس . فمنذ ما نقول إنها الساعة السادسة مساء نعنى أنه مرت ست ساعات منذ أن وصلت الشمس إلى أعلى نقطة فى السماء ، وتسمى نقطة السمت ، أو الظهر . واليوم هو الفترة التى انقضت منذ ظهور الشمس فى السمت وظهورها مرة أخرى .

وهناك دورتان للأرض : دورة بالنسبة إلى نجم معلوم ، وتستغرق مدتها ٢٣ ساعة و ٥٦ دقيقة ؛ ودورة بالنسبة إلى الشمس وطولها حوالى ٢٤ ساعة . والدورة الأولى تسمى اليوم النجمى ، والدورة الثانية تسمى اليوم الشمسى . واليوم النجمى لا يهم سوى الفلكيين . أما اليوم الشمسى فنظراً لأنه يمثل حالة الأرض بالنسبة إلى الشمس فأنه أهم عندنا من اليوم النجمى . على أنه لا ينطبق تماماً على دورة الكرة الأرضية حول محورها . وبينما تدور الأرض حول محورها ، تدور فى الوقت نفسه من حول الشمس . والوقت الذى يمر لدورة كاملة يسمى بالسنة الشمسية ، وهو الذى نشير إليه عندما نتحدث عن « سنة » . وهذا هو العام الذى نحاول أن ندونه فى نتائجنا الزمنية . وطوله على وجه الدقة ٢٤٢٢ و ٣٦٥ يوماً ، أو ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٢٨ دقيقة و ٥١ و ٤٥ ثانية .

وكان الناس من قديم الأزل يستعملون القمر فى قياس الوقت . والشعوب الاسلامية تدون نتائجها الزمنية بالشهور القمرية والسنة القمرية تتكون من ١٢ شهراً قمرياً ، يحتوى كل شهر منها على ٣٠ أو ٢٩ يوماً على التتابع .

وكانت سنة قدماء المصريين تتكون من ١٢ ، كل شهر منها يحتوى على ٣٠ يوماً . وكان يضاف إلى كل سنة خمسة أيام ، فيفقدون بهذه الطريقة يوماً كاملاً كل أربع سنوات مما يسبب

اختلافاً في مواعيد الفصول بمرور الوقت .

وقد حاول الناس منذ آلاف السنين ضبط نتائجهم الزمنية حتى تنتظم مواعيد الفصول سنة بعد أخرى .

كان الرومان يقسمون السنة إلى عشرة أشهر . وكانت الشهور السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة تسمى على التعاقب سبتمبر وأكتوبر ونوفبر وديسمبر ، ومنها اشتققنا حالياً أسماء الشهور الأربعة الأخيرة ولو أنها تعد في نتائجنا الزمنية الشهور التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة . ثم أضيف بعد ذلك شهران : يناير وفبراير .

ولما كان متوسط الشهر القمري ½ ٢٩ يوماً ، فقد أدى ذلك إلى أن تكون السنة ١٢ شهراً قمرياً أي ٣٥٤ يوماً .

وتشاءم الناس من كون هذا العدد زوجياً ، فأضافوا إليه يوماً منعاً للتشاؤم وأصبحت السنة ٣٥٥ يوماً . ومع ذلك كانت تنقص السنة عشرة أيام مما أدى إلى اختلاف في مواعيد الفصول، ولذلك أضاف الرومان شهراً إضافياً سموه مرسيدونياس . ولكنهم لم يقرروا عدد أيامه ، بل تركوا ذلك للكهنة فاستغلوه للاستفادة بتحديد أيامه حسب أغراضهم ، حتى يستطيع أصدقاؤهم المطالبة بديونهم في وقت أقل من ميعاد استحقاق دفع الديون ، أو مد أجل الدين في حالة استدانتهم .

وفي عام ٤٦ قبل الميلاد استنبط يوليوس قيصر نتيجة زمنية سميت النتيجة الجوليانية . وجعل الشهور الفردية ٣١ يوماً ، والشهور الزوجية ٣٠ يوماً ، ماعدا شهر فبراير فقد جعله ٢٩ يوماً فإذا مرت أربع سنوات صار ٣٠ يوماً .

وهكذا جعل عدد أيام السنة ¼ ٣٦٥ يوماً ، أي أطول من السنة الحقيقية بمقدار ما يقرب من ٢٣ دقيقة .

ثم جاء أغسطس فأخذ يوماً من فبراير وأضافه إلى شهر أغسطس بعد أن سمي باسمه (وكان يدعى قبل ذلك سكستليس — أي الشهر السادس ، كما أن الشهر الخامس « كوينتيلس » سمي باسم يوليو بالنسبة إلى يوليوس قيصر عم أغسطس) . ولكي يتجنب أن تكون الثلاثة أشهر يوليو وأغسطس وسبتمبر ذات أيام عددها ٣١ يوماً — منعاً للتشاؤم — أخذ يوماً من شهر سبتمبر وأضافه إلى أكتوبر ، ويوماً من شهر نوفبر وأضافه إلى ديسمبر . وهذه هي النتيجة المتبعة حالياً ، إلا أنه في السنوات البسيطة أي التي لايقبل عددها القسمة على ٤ يكون شهر فبراير ٢٨ يوماً ، وفي السنوات الكبيسة أي التي يقبل عددها القسمة على ٤ يكون شهر فبراير ٢٩ يوماً .

وانتشرت هذه النتيجة في أنحاء أوروبا . ومع ذلك كان الخطأ البسيط بينها وبين السنة الحقيقية وهو لايتعدى ٠٠٧٨ و . من اليوم ، يتراكم بمرور الزمن ويصير عدداً من الأيام .

وفي عام ١٥٨٢ استنبط البابا بوس الثالث عشر « جريجورى » نتيجة زمنية سميت النتيجة الجريجورية . فصحح خطأ الأيام العشر بأن دعا اليوم الذي يلي اليوم الرابع من أكتوبر ، اليوم الخامس عشر من نفس الشهر . وجعل سني القرون التي تقبل القسمة على ٤٠٠ سنين كبيسة . فالسنوات ١٦٠٠ و ٢٠٠٠ و ٢٤٠٠ تعد سنوات كبيسة ، أما السنوات ١٧٠٠ و ١٨٠٠ و ١٩٠٠ و ٢١٠٠ تعد سنوات بسيطة . وبذلك جعل السنة صحيحة تقريباً .

وفي الواقع ، تعد النتيجة الجريجورية من الدقة حتى أنه يجب أن تمر ٤٠٠٠ سنة قبل أن يتراكم الخطأ ويصير يوماً واحداً .

وطريقة يوليوس قيصر تدعى الطريقة القديمة ، أما الطريقة الجريجورية فتدعى الطريقة الحديثة ، وأحياناً ما يؤرخ المؤرخون حادثاً ما بالطريقتين معاً .

***

ويعد العلماء الصفر القياسي للوقت ، اللحظة التي تمر فيها السمت في مكان ما . وقد اختارت انجلترا بلدة جرينتش مكاناً لقياس الصفر الزمني . واعترفت به جميع البلاد الأخرى ؛ ثم استنبط الفلكيون صفر القياس الزمني ، أي بدء اليوم ، من منتصف الليل ، ومع ذلك لم تعمل به انجلترا بل ظلت تقيس الصفر الزمني من الظهر .

وتسبق أوقات أوروبا الوسطى وقت جرينتش بساعة واحدة . ثم يزيد الفرق عن ذلك كلما بعدت البلدان من جرينتش .

محمد فهمي عبد الوهاب

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

كلمات عن الإذاعة موجهة إلى الوزير المسئول:

نقلت الصحف أن معالى الدكتور محمد هاشم وزير الدولة سيخص محطة الإذاعة المصرية بجزء من وقته وجهده، عسى أن تفلح العناية والرعاية فى تخفيف شىء من سخط الجمهور المستمع فى كل مكان ... هذا الخبر إذا تخطى مرحلة التصديق إلى التحقيق كان حرياً أن يبعث فى النفوس اليائسة من إصلاح الأمور فى الإذاعة، أملا كبيراً مبعثه الإيمان الصادق بأن الشباب فى أكثر خطواته ... عمل وأمل!

أعرف وزير الدولة الشاب منذ تسع سنوات على التحديد؛ أعرفه معرفة هيأتها قاعة المحاضرات فى كلية الآداب، يوم أن كنا نجلس متجاورين لنستمع إلى محاضرات الدكتور طه حسين بك عن الأدب المصرى الحديث ... ولو علم القراء مبلغ عشق الوزير الشاب للأدب ومدى تملقه به لبدا لهم الأمر عادياً لا غرابة فيه، فما لو قدر لهم أن يروا الدكتور هاشم المدرس بكلية الحقوق فى ذلك الحين وهو يترك محاضراته ليأخذ مجلسه بين الطلبة فى كلية الآداب! كنت أدخل إلى قاعة المحاضرات فأرى الدكتور هاشم وقد سبق الطلاب إلى التبكير بالحضور، حتى لقد كان فى الكثير الغالب من الأحيان أول «طالب» يلقى على القاعة تحية الصباح. وآخذ مكانى إلى جانبه دون أن أعرف شيئاً من هذا الذى أجاوره؛ فكثيراً ما كان يقع فى الظن أنه زائر غريب أقبل من خارج الجامعة ليستمع إلى الدكتور طه حسين، شأن أولئك الزائرين الغرباء الذين كانوا يسعون إلى محاضراته ليروه رأى العين والفكر فى وقت معاً!

ولكن هذا الزائر الغريب كان يثير اهتمامى بشخصيته، تلك الشخصية التى كنت ألمح فى سماتها مظاهر العلماء ... جلسة هادئة متزنة فيها الكثير من الوقار، ونظرة نفاذة ساهمة تزن حقيقة المحاضر على ضوء كلماته، وأذن مصيخة واعية تحتشد للحديث لتلتقط كل مايقال، ووجه مشرق القسمات يعبر عن امتلاء النفس والعقل والشعور ... هذا كله دفعنى يوماً إلى أن أسأله عن اسمه شغفاً بمعرفته، ولشد ما راعنى أن أعرف أنه الدكتور محمد هاشم المدرس بكلية الحقوق. ومنذ ذلك اليوم وأنا أحمل له فى نفسى كثيراً من معانى الإكبار والإعجاب!

واليوم، وبعد تسع سنوات من اللقاء الأول فى قاعة المحاضرات بكلية الآداب يصبح الدكتور هاشم وزيراً للدولة .. أنا سعيد بأن يكون فى كرسى الوزارة هذا الشاب العالم الأديب فليس من شك فى أن كل عمل ينتسب إليه إنما ينتسب إلى همة الشباب، ويصطبغ بصبغة الخلق، ويطبع بطابع الآفاق الرحيبة التى تحلق فيها أجنحة ممتازة من الثقافة والعلم والأدب ... ولهذا أود أن أخاطب فيه كل تلك الصفات مجتمعة، حين أسوق إليه بعض الحقائق عن الإذاعة المصرية وهو على أهبة النهوض بها من وضع إلى وضع كما يقال.

يعلم وزير الدولة أن الإذاعة فى كل أمة من الأمم ما هى إلا وسيلة من وسائل الترفيه والتثقيف والإصلاح ... الترفيه عن طريق تغذية النفوس بالتسلية الرفيعة التى تهدف إلى مثل عليا وغايات، والتثقيف عن طريق إمداد العقول بكل مفيد فى ميدان الآداب والعلوم والفنون، والإصلاح عن طريق تنوير الأذهان بعرض كل مشكلة فى نطاق صلة الفرد بالمجتمع الذى يعيش فيه ولن يتحقق هذا كله إلا إذا تحقق التوفيق فى الاختيار ... اختيار المشرفين على أقسام الإذاعة، واختيار المشتركين فى برامج الإذاعة ثم أولئك الذين يوجهون دفة الأمور فى كل شأن من الشئون.

المراقب العام للاذاعة يجب أن يكون من صفوة المثقفين، وكذلك المشرفون على الأقسام والمشتركون فى البرامج؛ ولست أطالب هنا بأن يكون هؤلاء السادة من حملة الإجازات العلمية كالدكتوراه والماجستير، كلا فليست العبرة بما يحمل الإنسان فى يده من شهادات ولكن بما يحمل فى رأسه من ثقافات. هؤلاء جميعاً هم المسئولون عن سخط الجمهور وتذمره وضيقه بما يسمع فى الصباح والمساء: محاضرات دينية يقف الجهد فيها عند سطحية السرد وسذاجة العرض، فهى أشبه بتلك القصص التى تلقى على

الأطفال ، ومحاضرات أدبية تخلو من عمق الفكرة وإشراق اللمحة فهي ترديد وتقليد ، ومحاضرات سياسية وعلمية واجتماعية تنقل نقلا عن الصحف ، فإذا قرأت هذه أمكنك أن تستغني عن سماع تلك ! وتمثيليات تافهة مسفة قصد بها إلى ملء الفراغ الذي تحسه البرامج لا الفراغ الذي تحسه الأذهان ، وغناء مريض يدغدغ الغرائز ويرضي هواة الانحلال ممن يعانون مركب النقص في صفات الخلق والرجولة ، ومقرئون يسيئون إلى روعة الترتيل بأصواتهم المنفرة التي يقع عليها اختيار الآذان الصم والأذواق الفاسدة !

وأعجب العجب أن الأسماء التي تطالعك اليوم من وراء المذياع هي الأسماء التي طالعتك بالأمس القريب والأمس البعيد ، وستطالعك في الغد القريب والغد البعيد ، أتدري لماذا ؟ لأنها أسماء فرضت فرضاً وكأنها ضريبة يدفعها الجمهور المستمع من وقته الضائع وأعصابه المرهقة ! وإذا رجعت إلى بعض دعاة الإصلاح في الإذاعة قالوا لك : لقد حاولنا فضاع الجهد وتبدد الأمل وذهب التوجيه مع الريح ... إذا رغبنا في هذا « الفلان » رغب غيرنا في ذاك ، وإذا رأينا الرأي هنا صدر الأمر بإلغائه من هناك ! أسماء مفروضة ولو شكت رءوس أصحابها من أزمة الخواء ، وأسماء مرفوضة ولو ناءت رءوس أصحابها بنعمة الامتلاء ، وهذا هو مصدر الداء الذي يجب أن يعالج ليستقيم كل معوج من الأمور وكل منحرف من الأوضاع !

إذا أراد الدكتور هاشم أن ينهض بالإذاعة فليس أمامه إلا أن يعيد النظر في تلك الفئة من المشرفين على الإذاعة ، فإذا خطر له أن يبقى كلا منهم في مكانه فلا بأس من تكوين لجنة من العقول الممتازة في ميدان الأدب والعلم والفن ، تكون مهمتها الإشراف على هؤلاء المشرفين حتى لا يخطوا خطوة يمليها الهوى والغرض أو يمليها الجهل الأصيل بقواعد الذوق السليم ... وعليه بعد ذلك أن يراجع تلك الجهات التي تصدر أمرها وتفرض رأيها على الإذاعة في مسألة تلك الأسماء المعروفة التي ملتها النفوس ومجتها الأسماع ، فإذا حقق تلك الغاية فلا بأس مرة أخرى من تكوين بضع لجان تقوم بتنظيم البرامج في كل قسم من الأقسام ، وانتهاج خطة دائمة يسير عليها العمل وتجنبه الركود والجمود ، ولها أن تختار من يصلحون للإذاعة من الأدباء والعلماء والفنانين على ضوء الكفاية الشخصية لا الكفاية الحزبية !

هذا هو الطريق ... ونحن في انتظار الخطوة التالية لوزير الدولة ووزير الشباب ، وعهدنا بالشباب دائماً إذا اهتدى بنور العلم ونور الخلق أن يتخطى السدود ويحطم القيود ! !

جائزة أدبية والمقال مسروق من « وحي الرسالة » :

جريدة « بيروت المساء » اللبنانية جريدة عزيزة على نفسي حبيبة إلي قلبي ... عزيزة وحبيبة لأنها من لبنان ، ولأن محررها الفاضل الأستاذ عبد الله المشنوق صديق كريم ، وما أكثر أصدقاء القلب والروح في لبنان الشقيق .

ولست أدري ما هو رأي الصديق الكريم في هذه القضية التي يشترك فيها بنصيب ... ولعله قد جهر بهذا الرأي على صفحات « بيروت المساء » ، ثم لم يقدر لي أن أطلع عليه ، لأن الجريدة العزيزة الحبيبة قد انقطعت عن الوصول إلي منذ أمد بعيد ، انقطعت على الرغم من وعود الأستاذ سهيل إدريس بأن « بيروت المساء » و« الصياد » في طريقها إلي من أسبوع إلى أسبوع... وها هو شهر قد مضى وأعقبته شهور ولم أر وجه الصحيفتين الحبيبتين ، ولا أدري ... أأعتب على الصديق سهيل إدريس ، أم أعتب على الصديقين عبد الله المشنوق وسعيد فريحة ؟ !

مهما يكن من شيء ، فحسبنا أننا نستروح أنسام لبنان ونتسقط أخباره من مصادر أخرى تحمل إلينا مما نريد قليلا من كثير .. هذه جريدة « صدى الأحوال » اللبنانية تطالعنا في عددها الصادر يوم السبت ٦ آب بمقال افتتاحي أشارت فيه إلى سرقة أدبية وقعت بين جدران كلية المقاصد الإسلامية ببيروت ، أما تلك السرقة ، فمن كتاب « وحي الرسالة » للأستاذ الكبير الزيات ، وأما الذي أقدم عليها في رابعة النهار فهو طالب جريء من طلاب كلية المقاصد لم يجد حرجاً في السطو على أدب الأستاذ الزيات من جهة ، وعلى مال الأستاذ محي الدين النصولي من جهة أخرى !

هذه القصة الغريبة أشارت إليها « صدى الأحوال » بهذه الكلمات : « نشرت جريدة بيروت المساء بعددها الصادر في ١٩٤٩/٥/٣٠ مقالا بعنوان (مقارنة خلقية بين بريطانيا وفرنسا) مهد له قلم التحرير بهذه المقدمة : منذ اثنين وعشرين عاماً والزميل الكبير الأستاذ محي الدين النصولي يقدم بانتظام جائزة مالية سنوية

توزع على الفائزين من طلاب كلية المقاصد الإسلامية في مباراة خطابية إنشائية . وقد امتازت مباراة هذا العام بالمستوى الرفيع الذي بلغه المتبارون في ناحيتي الكتابة والخطابة ، وكان المحكمون الأساتذة : حسن فروخ ، وموسى سليمان ، والدكتور جميل عانوتي موفقين في أحكامهم . ويبدو في الصورة المحكمون الثلاثة وخلفهم الطلاب الفائزون الثلاثة ، ونحن إذ نشكر الأستاذ النصولي على هذه الأريحية المتيقظة (عمرها ٢٢ سنة) يسرنا أن ننشر فيما يلي الخطاب الذي كتبه وألقاه الشاب الأديب السيد ظافر تميم الفائز بالجائزة الثانية وعنوانه (مقارنة خلقية بين بريطانيا وفرنسا) ... »

بعد هذا يعقب الأستاذ يوسف أبو عبد الله محرر « صدى الأحوال » قائلا : « إن المقال الذي فاز بتلك الجائزة منقول نقلا أميناً عن مقال لأحد مشاهير الكتاب وهو الأستاذ الزيات تحت عنوان (انجلترا هي المثل) في الجزء الثاني من (وحي الرسالة) ، منقول بنصه وفصه ، فلا تحريف ولا تأويل ولا استيحاء ولا اقتباس ! ... ولقد عدت إلى نفسي متسائلا : كيف جازت هذه السرقة على لجنة من المحكمين الجهابذة ! وكيف لم يفطن لها الأستاذ الكبير عبد الله المشنوق ، بل كيف لم يتمكن أحد من كبار الأدباء ممن يساهمون في تحرير الزميلة (بيروت المساء) من معرفة ذلك ؟ ! .. لقد ذهب قسم من الجائزة إلى من لا يستحقها ، إلى مختلس جازت حيلته على المحكمين ! إنني أقترح على الأستاذ النصولي أن يبدي رأيه في الموضوع وفيما عساه أن يفعل بالجائزة التي تمكن منها من هو غير أهل لها ، وفيما إذا كان مستعداً للتعويض على من يجيء بعده من المتبارين ، ومكافأة الفتى زهير لاوند مكتشف السرقة الأدبية ... أما كلمتي للجنة (الموقرة) ، فهي أنها دون شك لم تكن مطلعة على الاختلاس ، ولم يخامرها ريب في أن الموضوع هو من وضع الطالب ، وسوى ذلك لما جازفت بنشره في الجريدة كأداة جرمية تدين المجرم والمتواطئين معه ، فهي غير ملومة من هذا القبيل ، ولها من حسن نيتها خير شفيع ، إنما يمكن نعتها بالقصور وعدم الاطلاع الكافي لتكون أهلا لضبط مثل هذه المهمات البسيطة » !

هذه هي الكلمات التي عقب بها المحرر الفاضل على السرقة الجريئة ، وإنك لتلمس فيها غيرة كريمة على القيم الأدبية والأوضاع الخلقية يستحق عليها صاحبها كل ثناء وكل تقدير .

حول الفن والحياة مرة أخرى :

يذكر القراء تلك الرسالة التي بعثت بها إلىّ شاعرة فاضلة في العدد (٨٣٩) من « الرسالة » ، ويذكرون أنها سألتني عن صلة الفن بالحياة وعما إذا كانت الثقافة الناضجة يكفي فيها الكتاب وحده عن كل ما عداه ... ولقد رددت عليها في ذلك الحين بهذه الكلمات : « إن جوابي عن هذا السؤال هو أن الكتب لا يمكن أن تكفي لسبب واحد هو أن ثقافة من هذا الطراز يشوبها النقص ويعتريها القصور ؛ لأنها تفقد عنصراً خطيراً هو عنصر التطبيق على الحياة ! كيف تستطيعين أن تتذوقي آثار الفن وأنت بعيدة عن منابعه ؟ وكيف تستطيعين أن تحكمي على نتاج القرائح وليس بين يديك قاعدة ولا ميزان ؟ إن الثقافة يا آنستي ليست قراءة فحسب ، ولكنها فهم وهضم وتذوق واستيعاب ... وحياة من وراء هذا كله تمين الذهن على الإحاطة ، وتسعف الحواس على التوهج ، وترفع من قيم المواهب والملكات » !

قلت هذا فعقب الدكتور طه حسين في « الأهرام » على ما قلت ، وكذلك فعل الأستاذ توفيق الحكيم في « أخبار اليوم » ، وذهب الأول إلى أن الإنسان يستطيع أن يكون مثقفاً عن طريق القراءة والاستماع فلا حاجة به إلى الحياة ، وأكد الثاني أن الكاتب يستطيع أن يخرج فناً ولو حبسته في جب وأغلقت عليه بسبعة أختام وتركته الأعوام ... إلى آخر هذا الكلام العجيب الذي يفتقر إلى سلامة المنطق وقوة الدليل كما أثبت ذلك في حينه !

واليوم أعود إلى الموضوع بمناسبة مقال ظهر في « الرسالة » منذ أسبوعين تحت عنوان « القراءة وأصول الثقافة » للأستاذ الفاضل إيليا حليم حنا ... في ذلك المقال أورد الأستاذ إيليا كلمات قالها « جونسن » ، وهي كلمات تؤيد الواقع الذي ناديت به ، وتغني عن كل تعقيب ! .

يقول جونسن : « من يتصور أن الأفكار لا توجد إلا في الكتب ، وأن في الكتب كل الأفكار ، فما هو إلا واهم ... الأفكار تجري مع الأنهار والمجاري ، وتطفو على وجه البحر ، وتتكسر على شواطئه ، وتسكن التلال والجبال ، وتسطع مع نور الشمس ، وتنسدل على أجنحة الظلام ... إن الأفكار موجودة في كل مكان وزمان » !

فإلى الكاتبين الكبيرين اللذين خالفاني فيما ناديت به ... أهدي هذه الكلمات ! !

أنور المعداوي

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

بعثات البنات والرقص التوقيعي :

نشب الجدل أخيراً في الصحف والمجلات حول ما رآه معالي وزير المعارف مرسي بدر بك وقرره ، من منع بعثات البنات إلى الخارج ، وإلغاء الرقص التوقيعي في مدارس البنات ، وقد انقسم الكاتبون والمعقبون إلى معارضين ومؤيدين ، واتخذت بعض المجلات هذا الموضوع مجالا للفكاهة والتندر . وقد اشتملت حملة المعارضين لمنع البعثات على مغالطات واندفاعات وجانبت القصد وجاوزت الاتزان .

لقد أفضى معالي الوزير بوجهة نظره فقال : إني لا أوافق على إيفاد بعثات بنات إلى الخارج ما عدا لندن لوجود بيت خاص للطالبات بها وتقوم بالإشراف عليهن مربية فاضلة ترعى مصالحهن وتشرف على تصرفاتهن ، أما إلى أي بلد آخر فلا أسمح بذلك مطلقاً. وإذا كنت أنا وزير المعارف لا أسمح بأن أرسل ابنتي إلى سويسرا أو فرنسا بمفردها دون رقيب ، فلهذا لا أسمح بإرسال فتيات للخارج أنا مسئول عن سلوكهن دون أن يوجد من يشرف عليهن.

هذا كلام « رجل » يمسك الزمام ويقدر المسئولية العامة كما يقدر المسئولية الخاصة . ولا شك أن الذين يعارضون — ولندع السيدات جانباً — إنما يسترسلون في حملتهم غير شاعرين بشعور الرجل الحر المسئول عن أخواته وبناته ، وإلا فكيف يتفق هذا الشعور وأن يرسل الرجل ابنته إلى بلاد كفرنسا أو سويسرا لتعيش هناك كالغزال الشارد في مجتمع يستبيح كثيراً مما نحظر ؟ وإذا كنا لا نسمح للفتاة التي تأتي إلى جامعة فؤاد من غير القاهرة ، أن تعيش وحدها من غير رعاية أقارب ورقابتهم لها ، فكيف نرسلها إلى باريس مثلا بمفردها دون رقيب أو موجه ؟ أخشى — إن فعلنا — أن تعود إلينا فتتحدث عن مغامراتها هناك كما يتحدث الفتيان ...

وأعجب العجب أن يذكر أولئك المعارضون في هذا الصدد ، التقدم والرجعية والعلم والجهل ، ويبدون خجلهم مما يقوله عنا الأجانب ... إلى آخر هذا الكلام المعروف . ولست أدري ما الذي جرى للعلم والتقدم بهذا الإجراء الذي لا يقصد منه إلا تنظيم الخطة والحفاظ على الكرامة والأخلاق ؟ هذه مدارس البنات وكليات الجامعة التي يتعلم فيها البنات ، لا تزال قائمة تتيح للبنات من العلم والتثقيف ما تتيح للبنين ، ومنع بعثاتهن إلى أوربا ليس عاماً ولا دائماً ، فالبعثات إلى انجلترا لم تتقف ، والمانع منها إلى سائر البلاد سيزول بتدبير مثل ما في انجلترا من بيت ورعاية ، فلا بأس على العلم ، كما أنه لا بأس على التقدم إلا إن كان يراد به الإباحية والإفساد . وجدير بهؤلاء أن يخجلوا من بيناويتهم ومن فراغ نفوسهم من الشعور بكرامة الأسرة ، أكثر مما يخجلون من أي شيء آخر .

أما الرقص التوقيعي فما أرى به بأساً ، على أن يكون محصوراً في بيئة المدرسة بعيداً عن أنظار الرجال ، فإن الناس يبعثون بناتهم إلى المدارس ليكن في صيانتها ، إنما البأس في إظهار الفتيات بالحفلات العامة ليبدين هذا الرقص التوقيعي ، أو ليقمن حتى بالألعاب الرياضية — وفيهن فتيات ناضجات الأنوثة — على نحو ما يقع في حفل الجزيرة . والبأس كل البأس في التمكين للمجلات المصورة من أخذ صور الفتيات بالمدارس في أثناء قيامهن بالألعاب الرياضية في أوضاع تظهر فيها العورات والسوءات ...

أما الرقص التوقيعي من حيث هو رياضة موسيقية مرحة فلم يعلق به الغبار إلا من كلمة « الرقص » وهو لا يزيد على رياضة تفيد الجسم وتكسبه الجمال والرشاقة ، وحركاته المنسقة مع الموسيقى تبعث السرور والسعادة في نفوس البنات فيقبلن عليه أكثر مما يقبلن على الألعاب الرياضية الأخرى...

تسعير الأدب في الإذاعة :

وقعت إدارة الإذاعة أخيراً في مشكلة عمقها شبر ... وإن كانت تبدو لها مغرقة .. وذلك عندما أرادت أن تقدر أجر الأستاذ محمود أبو الوفا على ما ألقاه من شعره بالمذياع . فهي تحسب أجور

الأدباء والشعراء وسائر المحدثين ، الموظفين بالحكومة ، على حسب درجات وظائفهم ، وأبو الوفا موظف باليومية فى دار الكتب المصرية ، وهو مع ذلك شاعر معروف متمسك بكرامته اللائقة بمكانته الأدبية ، فلن رضى أن يوزن قدره بميزان الوظيفة .

وحدث كذلك عندما أرادت إدارة الإذاعة محاسبة الأستاذ محمود حسن إسماعيل على إذاعة شعره — أن كتب الموظف الذى طلب إليه تقدير أجره ، مشيراً بأن يعتبر الشاعر كدرس « حرف ا » وهى رتبة جديدة اخترعها هذا الموظف .. ولولا الخوف على وزارة المعارف من عدوى الإذاعة لاقترحت عليها أن تضم إليها هذا المخترع الفذ لاستخدام عبقريته فى تقدير المدرسين ... وذلك كله مع العلم بأن الأستاذ محمود موظف بالإذاعة نفسها !!

ولا أدرى إلى الآن كيف حل عباقرة الإذاعة تينك المعضلتين ، وإن كان ذلك يجرنا إلى النظر فى هذا الموضوع العجيب ، موضوع تقدير الأدباء فى الإذاعة على حسب درجات الوظائف ، لا على القيمة الأدبية ، ويخيل إلى أنها تلجأ إلى ذلك لتخلص نفسها من ورطة الحكم على هذه القيمة ، وعلى هذا يمكن أن نعتبر هذه الطريقة أسلم مما كان يحتمل أن يقع ، فقد يحسبون حديثاً جيداً ، أو يظنون آخر رديئاً ، والأمر على خلاف مايحسبون ويظنون .. فلامناص إذن من القياس على درجات الوظائف ، فمن كان يشغل إحدى الدرجات العلا فهو أستاذ كبير ، ومن يشغل الدرجة السادسة أو الخامسة مثلا فيحال إلى ذلك الوظف العبقرى ليختار له حرف ب أو ج ...

ولست أدرى هل هم ينظرون أيضاً فى أحوال أولئك الأدباء الموظفين ، من حيث من يكون منهم عزبا ، أو متزوجاً ليس له أولاد ، أو متزوجاً وله أولاد ، وكم عدد الأولاد ، وهل يعول أقارب آخرين ، وهل هو من « المنسيين » أو ممن أدركهم « التنسيق » وما إلى ذلك ... ومن يدرى ؟ فقد تتألف جمعية من زوجات محدثى الإذاعة المغبونين كتلك الجمعية المؤلفة من زوجات الموظفين المنسيين ...

من طرف المجالس :

فى ندوة الأستاذ كامل كيلانى بدار مكتبة الأطفال ، قال فؤاد شيرين باشا محافظ القاهرة إنه دخل مرة بابنته الصغيرة محلا

كشكول الأسبوع

□ قرر المجمع العلمى العراقى انتخاب سعادة الدكتور عبد الوهاب عزام بك وزير مصر المفوض بالحجاز — عضواً به .

□ أعلن القصصى العراقى عبد المجيد لطفى انصرافه عن الكتابة ، لأنه مرض منذ شهور ودخل المستشفى فلم يجد فى جيبه من النقود مايواجه به نفقات العلاج فاضطر إلى بيع أثاث بيته ومع ذلك لم يكف ثمنه للعلاج المطلوب .

□ أغلقت الحكومة العراقية نحو ٢٤٠ صحيفة بين مجلة وجريدة لأنها لم تكن تصدر بانتظام ، وكثير منها لم يصدر غير عدد أو عددين لبعض المناسبات .

□ شرعت وزارة المعارف فى تغيير مناهج التاريخ والجغرافية فى المدارس الابتدائية والثانوية والعمل على وضع كتب دراسية جديدة فى هاتين المادتين . ومما يؤسف له أن الطالب المصرى يلتقى فى الجغرافية — على المنهج الحالى — معلومات عن جميع بلدان العالم ما عدا البلاد العربية التى يكاد يجهل جغرافية أكثرها .

□ أعلن أحد الذين يؤلفون قصصاً للسينما بالأهرام أنه كنز زاخر وأن خياله مرهف وقدرته فائقة فى تأليف القصص ، وذلك مع صورته المنشورة فى الإعلان ... وهكذا ينافس مؤلفو القصص العرافين وقارئى الكف .

□ قال الدكتور زريق مندوب سوريا فى حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة ببيروت : إن روح التضامن الاجتماعى متأصل لدى العرب ، وإن نظام الأوقاف خير دليل على ذلك .

وقال المستر كليلاند الأمريكى فى تعقيب له بالحلقة : إنه لا يجب الاعتقاد بأن كل تفاوت بين الأفراد أو بين الشعوب سيختفى أثره فى هذا الجيل .

□ جاء من شيكاغو أن السيدة نادية عبود أستاذة اللغة العربية فى المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو ، أعلنت أنها تملك صفحتين من أقدم طبعة لكتاب « ألف ليلة وليلة » وتقول السيدة إن أصل العنوان « الليالى الألف » . وإن دينازاد كانت مربية شهرزاد لا أختها .

□ يؤخذ من تقرير عرض على اللجنة الثقافية للجامعة العربية عن تعليم اللاجئين الفلسطينيين ، أن المدارس المصرية قبلت نحو ٨٥٠ طالبا فى التعليم العام و٣٠ فى التعليم العالى ونحو مائة فى جامعتى فؤاد وفاروق عدا من ألحقوا بالأزهر .

□ افتتحت اللجنة الثقافية للجامعة العربية دورتها الخامسة بالإسكندرية يوم ١٢ أغسطس الماضى ، وألفت لجانا فرعية للموضوعات التى هى موضع نظرها ، وتواصل هذه اللجان اجتماعاتها إلى حين كتابة هذا .

□ قال الدكتور أحمد أمين بك فى الكلمة التى افتتح بها اجتماع اللجنة الثقافية : إن المجهود العلمى هو خير المجهود فى بناء التعاون بين الأمم ، ولو أمكن وضع سياسة ثقافية موحدة بين الدول العربية لأمكن التغلب على كثير من الصعاب فى الميدان السياسى .

▫ وقال أيضاً : إن الإدارة الثقافية لم تتمكن من تنفيذ ما كانت تريده من استخدام السينما والإذاعة فى نشر الثقافة الأدبية والعلمية والفنية ، لضيق ميزانيتها وعدم استيفاء أنصبة الدول .

▫ اتفق رأى اللجنة الثقافية فى إحدى جلساتها على إقامة مهرجان لذكرى ابن سينا ببغداد فى خريف سنة ١٩٥٠ أو ربيع سنة ١٩٥١ ، تدعى إلى الاشتراك فيه الدول الشرقية وكبار المستشرقين والمنظمات العلمية وهيئة اليونسكو ووزارة المعارف الفرنسية لاهتمامها بدراسة آثار ابن سينا على يد الأستاذ ماسنيون .

▫ وتقرر أن يعهد إلى الإدارة الثقافية بإنشاء جائزة سنوية باسم ابن سينا تعطى لأحسن مؤلف فى العلوم أو الفلسفة ، كما تقرر توصية البلدان الأعضاء بإنشاء كراسى لابن سينا فى جامعاتها .

▫ أبلغ مندوبا لبنان اللجنة الثقافية أن الحكومة اللبنانية ستنشىء جامعة علمية بقصر اليونسكو باسم « جامعة ابن سينا » .

▫ ووافقت اللجنة مبدئياً على أن يعقد المؤتمر الثقافى الثانى للبلاد العربية بالأسكندرية فى العام القادم .

▫ ونظرت اللجنة فى تقرير اللجنة الخاصة بالتعاون العلمى بين البلاد العربية ، فرأت أن ينشأ بالإدارة الثقافية لجنة دائمة لدراسة المشكلات العلمية المختلفة فى الميادين الزراعية والاقتصادية والعمرانية بوجه عام ، ووضع ما تراه من تدابير لتنسيق التعاون بين البلدان العربية فى معالجتها .

لبيع (الشكولاته) بإحدى مدن ألمانيا ، وكانت التى تبيع فيه سيدة ، وبعد أن اشتريا منها وخرجا قالت الابنة لأبيها : لماذا تبيع المرأة (الشكولاته) ولا نأكلها ؟!

قال الأستاذ كامل كيلانى : هذا بعينه هو معنى الخيام فى رباعياته إذ يقول : هل يشترى الخمار بما يبيع به الخمر أثمن منها ؟

وكان المجاهد الأمير عبد الكريم الخطـــابى حاضراً ، فانتقل الحديث إلى الاستبسال فى الحرب وأثر الإيمان فيه ، وهنا انبرى أحمد حلمى باشا رئيس عموم حكومة فلسطين ، لجعل يقص روائع مما شاهده من حسن البلاء فى المواقع التى اشترك فيها ، قال : سقط أحد الجنود المسلمين فى حرب الأتراك مع الانجليز سنة ١٩١٤ — جريحاً ولم يستطع الكلام ، فأخرج ورقة من جيبه وتناول عوداً من الأرض وجعل يغرزه فى جرحه الثائر برقبته ويكتب فى الورقة بالدم ، فكتب أولاً : أين القبلة ؟ فدلوه عليها ، فاستقبلها ، ثم كتب : فليأخذ جيشنا بثأرى . وأخيراً كتب : لا إله إلا الله محمد رسول الله . ثم فاضت نفسه ! وقال حلمى باشا : وهذه الورقة محفوظة بأحد المتاحف بتركيا .

قال الأستاذ كامل كيلانى : لم أر فى هذا المجال أبدع مما قالت أم حكيم زوجة قطرى بن الفجاءة وهى تتقدم فى الحرب ولا أدل منه على الصدق فى الجهاد ، قالت :

أحمل رأساً قد مللت حمله
وقد مللت دهنه وغسله
ألا فتى يحمل عنى ثقله ؟

فأين جان دارك وغير جان دارك من هذه الروعة ؟

قال شيرين باشا : وهل تعرف جان دارك أن تقول مثل هذا ؟

السنة المدرسية :

ذكرت بعض الصحف أن وزارة المعارف تفكر فى أن تجعل بدء الدراسة بالمدارس من أول سبتمبر وأن تجرى الامتحانات فى ابريل بدلا من مايو ويونيه ، حتى لا يرهق الطلاب بالامتحان فى أوقات اشتداد الحر . وهذا اتجاه حسن ، وإن كانت الفكرة لم تنضج فى الوزارة ، على ما يظهر فلم يمكن تنفيذها فى هذا العام .

ولا شك أن الجو فى شهر سبتمبر معتدل وملائم للعمل المدرسى وخاصة حين تبدأ الدراسة هينة خفيفة فى أول السنة ، فليس من الحكمة أن يضيع هذا الشهر ويترتب على ضياعه تراخى الدراسة إلى الصيف ثم إجراء الامتحانات فى القيظ الذى يصيب شره الطلبة والمدرسين جميعاً ، وإن فترة الامتحانات التى تقع فى أوائل الصيف كل عام لهى مأساة الشباب فى مصر ، تنهك فيها أبدانهم وترتهك أعصابهم وتكل أذهانهم وتضطرب أفكارهم .

والمدرسون لو رأيتهم وقد حشدوا فى الحجرات للتصحيح وجلسوا على مقاعد التلاميذ حتى ضاقت بهم ، يتصببون عرقاً يجففونه تارة ، وتارة يمسكون بالأقلام الحمراء ويهوون بها على أوراق الاجابة — لو رأيتهم على هذه الحال لأشفقت عليهم وعلى الطلاب الذى وضعت مصائرهم بين أيديهم فى هذا الجو المنهك المرهق .

وأذكر بذلك أن وزارة المعارف فى السودان تنظم زمن الدراسة فى العام تنظيما موافقاً للبلاد الحارة ، فالسنة المدرسية تبدأ فى أول يناير ويستمر العمل إلى آخر ابريل ، ثم تكون بعد ذلك إجازة الصيف التى تقع فى خلال السنة الدراسية ، وتستأنف الدراسة بعدها فى يولية (يبدأ فصل الخريف فى السودان من يولية) وتستمر حتى أول ديسمبر ، ثم يجرى الامتحان النهائى فى أوائل ديسمبر وبذلك تنتهى السنة المدرسية .

أما المدارس المصرية فى السودان فتجرى على مواعيد المدارس

في مصر ، ويلاق الطلبة والمدرسون هناك في الامتحان عنتاً أكبر مما يلاقيه زملاؤهم في مصر .

ويمكننا الانتفاع بنظام الحكومة السودانية مع شيء من التحوير الذي يناسب جو مصر . يمكن أن تبدأ السنة وتنتهي كما تبدأ وتنتهي هناك ، على أن تكون أجازة الصيف شهري يونية ويولية فقط ، ولا ضير من العمل في أوائل الصيف وأواخره ، لأن الامتحان لا يقع فيها وإنما يكون في ديسمبر . والمزية الكبرى لهـــذا النظام هي إجراء الامتحان في الشتاء وقت النشاط والعمل .

أما المدارس المصرية في السودان فيجب أن ينظم أمرها بحيث تكون مواعيدها موافقة للنظام السوداني الملائم للبيئة الطبيعية هناك .

عباس خضر

البريد الأدبي

قطرة في قطرة :

تلقى صديقي الأستاذ أنور المداوي رسالة حملتها إليه « حقيبة البريد » من السيد حسني الشريف وفيها أن قطرة من قطرات ندای سببت له مشكلة يرجو لهـا حلاً ، وخير القطرات عندی تلك التي تثير المشكلات . أما القطرة فهي إنني خفت على الذين يقضون السنوات في المطالعات ولا يكتبون أن يصابوا وقد غصت النفس بما فيها ولم تجد لها منفذاً ، بالاستسقاء الذهني والاختناق ودعوتهم إلى الكتابة والتعبير عما يجيش في نفوسهم بين الحين والحين ، ويقول الراسل إنه لا يستطيع أن يعبر بما يرضى الأديب الكبير فهل يكف عن المطالعة وهو يحبها ؟

أنا حين أقول للسيد حسني الشريف وأمثاله الذين يطالعون ولا يكتبون : إكتبوا كلما قرأتم لكي لا تصابوا بالاختناق وبما سميته الاستسقاء الذهني لا أطلب إليهم أن يأتوا بما يأتي به هوميروس وشكسبير وهيجل وملتن فللتعبير ألف وجه ولون وأسلوب ويكفي أن يعبر المرء عما يجول في صدره بالطريقة التي تلائم مزاجه وذهنيته وقالبه الوراثي وما انتهى إليه عقله وقلبه بحيث يأتي التعبير صدى للصوت الخارج من أعماق النفس ولكل نفس طبقتها وأعماقها ولونها وهيكلها وحذورها وهوانئها وأرحامها ، ومتى عبر المرء بطريقته الخاصة نفس عن نفسه وظهر بوجهه الذي خلق له ولم يستعر وجه غيره وأقبح الوجوه الوجه المستعار وأمن شر ذلك الداء ، داء الاستسقاء .. كل يعبر بلسانه وأسلوبه فللأسد زئيره وللعصفور تغريده وللحمام هديله وللاقواس حنينها وللورود شذاها وللرعد هزيمه وللبركان حممه ، وليست القرائح كلها براكين ، ومن الخير أن لا تكون كلها براكين ليظل للعبقرية نحورتها وللموهبة مكانتها ، وفي كل قريحة تنفجر شيء من البركان وإن كانت لا تطلق المعجزات والروائع .

وإني لأعجب لمن يسلخ الساعات الطوال من نهاره وليله في المطالعة كيف لا يثير فيه ما يقرؤه ويتمثله قوة التعبير ويوقظ ما رقد في نفسه وتلك الخواطر والرسوم التي يلقى بها المؤلفون في ساحات النفس وأعماق العقل والخيال والشعور بذور صالحة للنمو وكائنات حية لها أعصابها وطرقها وأيامها وحيويتها التي تأبى إلا أن تشق لها المنافذ إلى أهدافها ...

إن الذي يغنم من كنوز المطالعات ما يغنم ولا يكتب بدوره سطوراً يقدمها للحياة وللناس يقف موقف من ينعم بمال الدائن ولا يفي الدين ويحبس ذلك بالموقف الكريم المستحب ... إن من أخذ يجب أن يعطي ، هكذا تقول لنا الطبيعة ..

ولا شك أن تاجرنا المراسل الذي يهوى الأدب ويحب (الرسالة) يعرف من تجارته أنها استيراد وتصدير ، وكذلك هو الأدب ، وإني لأدعوه إلى الكتابة بالشكل الذي يراه وقد تكون فيه ورائه شغفه بالمطالعة قوة كامنة لم يهتد إليها بعد ولم يسمع صوتها .. إن فينا من القوى الخفية ما يفوق بكثير ما يطفو على سطحنا من القوى الظاهرة . وكم من أديب قضى الحياة والقلم في يده خائف متردد والينبوع كامن راقد في أعماقه ينتظر حريته ويومه ...

راجي الراعي

ليس في كلام العرب :

نقرأ كثيراً في هذه الأيام تصحيحات لغوية لبعض الكاتبين في الصحف والمجلات وعلى كثرة هذه التصحيحات لم نجد إلا القليل منها سلم من التصحيح ، مما يدلنا على أن الكاتبين لا يتعمقون في البحث والاستقراء . وليست اللغة ضيقة المادة ، حتى يتمكن كل من تحدثه نفسه بأن يقول هذا خطأ . وهذا لم يرد عن العرب ، بل الواقع أن لهجات العرب كثيرة متشعبة ، ولذلك قالوا : عجبت لنحوى يخطىء ، ومجال التوسع في الاستعمال فسيح ، الاستعارة والمجاز ، والاشتقاق ، كل ذلك مما يجعل مهمة (المخطىء) شاقة وعسيرة .

وقديما ألف الحريرى كتابه [درة الغواص في أوهام الخواص] وأطال فيما أعتقد أنه من الأوهام ولكن الشهاب الخفاجى تتبعه في [شرح الدرة] ورد أكثر ما كتبه .

وبين أيدينا كتاب (ليس في كلام العرب) لابن خالويه ، وهو كتاب مملوء بالفوائد العلمية ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء مستطابا ، غير أنه جاء ناقص الاستقراء ، والقارىء للجزء الموجود بين أيدينا من الكتاب يجد فيه مواضع كثيرة فيها نظر ، وقد اعتمد بعض مؤلفينا الكبار على هذا الكتاب فتابعوه في الخطأ ، وأريد أن أذكر أمثلة مما قصر فيه ابن خالوية حتى يطيل الناشئون التريث قبل أن يقدموا على الحكم في المواد اللغوية :

١ — يقول : ليس في كلام العرب اسم جمع ست مرات غير الجمل ، فقد جمع على جمال وأجمل وجماله وجمالات وجامل وأجامل لأنه أكثر ما يكون الجمع مرتين أو ثلاثا وهذا ست مرات فهو نادر ، يقولون نعم وأنعام وأناعيم وقوم وأقوام وأقاويم لا يجاوزون ذلك . وينقل الرافعى رحمه الله هذا القول بنصه في كتاب « تاريخ آداب العرب » ، ويزيد أنه وجد صاحب القاموس عد للجمل جموعا ثمانية .

وهذا كله غير صحيح ؛ فإن هناك أسماء جمعت أكثر من هذا الجمع ، واذكر على سبيل المثال (الدار) فقد ذكر لها صاحب القاموس أحد عشر جمعا ، وكذلك ذكر للفظة (الشيخ) . وذكر لبعض الكلمات جموعا ستة ، وعبارة الرافعى الأخيرة غير صحيحة لأن صاحب القاموس ذكر للجمل أثنى عشر جمعا ، فإنه قال : وجماله وجمالات مثلثين ، ومعنى ذلك أن هذين اللفظين مع الضبط ينتجان جموعاً ستة .

٢ — ويقول : ليس في كلام العرب أفعلت أنا وفعلته لأنه عند كلام العرب غير أكب وأقشع ، ولكن في كتب اللغة من ذلك أفعال ، وقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر فعلا ، ومنها انقض وألام وأظأرت الناقة وأنزفت البئر وأمرت الناقة ، وأسبق البعير وقلعه الله فأقلع ، وحجمه فأحجم وأنسل ريش الطائر ونسلته .

٣ — ليس في كلام العرب اسم على فعال ليس بمصدر إلا كلمة واحده وهي قولهم أدخل الفعال في خرق الحدثان فأس له رأس واحد ، والفعال خشبة الفأس ، فأما المصادر تطرد على الفعال في باب فاعل نحو ضارب مضاربة وضرابا وهو منقوص بنحو زمام الناقة وسوار المرآة وصوان الثوب وملاك الأمر ووجار الضبع ... الخ.

علي العماري

أخطاء مطبعية :

تقع أحيانا رغم التصحيح والمراجعة بعض الأخطاء المطبعية التي لا تغيب عن فطنة القراء ... ومن هذه الأخطاء ما جاء بمقال الأستاذ أنور المداوى عن فقيد الأدب الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى في العدد (٨٤٢) من الرسالة حيث ورد هذا التعبير : « ومن دواعى الأسف حقا أن يمسى الأحياء ويصبحون فلا يجدون المازنى يملأ مكانه » وصحته : « ومن دواعى الأسف حقا أن يمسى الأحياء ويصبحوا الخ » . كما ورد في مقال الأستاذ المداوى أيضا عن « مدام ريكامييه » في العدد الماضى من الرسالة هذه الكلمات : « وتنادى شفتيها شفاهم الظامئة ... وتصافحت روح بروح » وصحتها : « وتنادى شفتيها شفاههم ... وتصافحت روح وروح » .

وفي العدد (٨٤٠) من الرسالة ورد هذا البيت في قصيدة الأستاذ محمد على الحومانى :

جددى يا مصر فينا الخيلاء نخف الأرض ونحتل السماء

وصحته :

جددى يا مصر فينا الخيلاء نخف الأرض ونحتل السماء

وفي العدد الماضى ورد هذا التعبير في مقال الأستاذ ابرهيم الوائلى عن كتاب « موسيقى الشعر » : « والذى جعله يمزج بين البحرين هو هذا الخلط العجيب الذى درج عليه بعض المحدثين فلم يفرقا بين المزج ومجزوء الوافر » وصحته : « ... فلم يفرقوا بين المزج ومجزوء الوافر » كما ورد هذا البيت : لاوحق ما أنا فيه فلا أرجيه وصحته : فلا أرجيه .

« الرسالة »



عاصـــفة فى قلب (*)

للأديب يوسف يعقوب حداد

الحب ، والأمومة ، اتفقا على الصراع فى قلب زوجة ... فاذا تراها فاعلة ؟!

كنت قرب النافذة أتلهى بشغل الأبرة ، واستروح آخر نسمات الربيع ، وألقى على الطريق نظرات متباعدة لعلى أرى طفلى وهما فى طريقهما من المدرسـة إلى البيت . وفى آخر نظرة لم تقع عيناى على وجهى طفلى ، وإنما رأيت زوجى يجتاز آخر مرحلة من الطريق إلى البيت ، فألقيت على الساعـة نظرة وجلة ، فاذا زوجى قد عاد اليوم مبكر بنصف ساعة على غير عادته !

واستولى على القلق ، فألقيت ما فى يدى ، وأسرعت اليه خافقة القلب ، وسألته — ما بك يا عزيزى ؟

فأجابنى بصوته الهادئ النبرات — لا شىء .

ولـكنه كان يخفى عنى الحقيقة ، فقد كان وجهه شـديد التجهم والانقباض . وحين دلفنا إلى داخـل المنزل ، جلس « جان » على حافة المقعد ، وقال :

— الحقيقة أننى استلمت رسالة اليوم ، أثارت اهتمامى . هى من ابن عمتى « دك برنت » ولعلك تتذكرين مقابلتك له فى الشمال ، يوم كنا نقضى شهر العسل .

فأمنت على قوله — نعم ... أتذكره جيداً ، وقد استلطفته كثيراً . ثم قلت مازحة — كان يومئذ يجتاز أخطر أدوار الشباب وقد أولع بى فكان وله هذا مصدر سخريتنا منه . لعله اليوم فى الرابعة والعشرين ... أليس كذلك ؟ !

ولـكنه لم يهتم بحديثى ، ومضى يقول — استطاع الحصول على عمل فى المطار المجاور لنا ، وأنه يتساءل فيما إذا كنا نقبله عندنا وربما يجد له مكاناً آخر .

وبدا عليه أنه يسألنى رأيى ، فقلت له — لم لا ؟ . لدينا غرف كثيرة ، يستطيع أن يشغل إحداها ... ثم أننا هنا نشكو الوحدة ، فلا قريب ولا صديق يزورنا ونزوره فسيخفف عنا « دك » هذه الوحدة .. والأطفال ؟.. تصور وقع الخبر عليهم .

* * *

وسرعان ما أولع الطفلان بدك ، وسرعان ما انسجم دك معهما ... وكثيراً ما كانوا يتحدثون عن الطيران ، حتى أصبح كل من فى المنزل خبيراً بأموره وما يتعلق به ! . . ولـكن ولع دك بالطفلين لم يكن أكثر من اهتمامه بى !

ومرت الأيام ، فإذ زوجى يتغير . لم يعد يدير دفة الحديث كما كان يفعل من قبل ، وبدأ ينفرد بنفسه كثيراً ... وازداد اهتمامه بالصيد وكان الصـيد هوايته المفضلة . وكنا ذات مساء نجلس حول مائدة العشاء ، فبدأ الطفلان سلسلة أسئلتهم الساذجة .

قال جاك — كيف كان طيرانك اليوم يا دك ؟

— لا بأس به يا عزيزى .

وقال « بل » محدثاً شقيقه — ألم تر مناورته اليوم فوق بناية المطار ؟

فتحدث جان زوجى من بعيد ، وقال لبل وفى حديثه الشىء الكثير من العتب واللوم : إذن فقد ذهبت اليوم إلى المطار وقد وعدتنى بالأمس ألا تذهب !.. أنسيت أننا اتفقنا على تنسيق طوابع البريد معاً ؟ فهتف الطفل فى أسف قائلا — والله ... لقد نسيت ... معذرة يا أبى .

ثم عاد إلى دك يحدثه عن الطيران ، فاستطعت أن أرى نظرات الحقد والغضب فى عينى زوجى جان !

وصعد جان إلى غرفته لينام ، وجلسنا أنا ودك والطفلان نصنع نموذجاً لطائرة دك من الـكارتون ، ومضى الوقت ونحن لاهون ، وشعرت وقتئذ بسعادة الشباب تعود إلى تخدير حواسى مرة أخرى ...

دك الشاب المرح ... وهذا العمل الصبيانى ... أعادا إلى ذكريات الشباب .

وسمعت زوجى يقول وهو واقف على باب مخدعه فى الطابق

(*) مترجمة عن مجلة « تورستورى »

الثاني — لقد حان موعد نوم الأطفال ... الساعة الآن النصف بعد العاشرة !

ثم عاد إلى فراشه . وصعد الطفلان إلى فراشيهما ، وبقينا أنا ودك الذي قال لي ضاحكا ... ألم يحن موعد نومك أنت الأخرى ؟

فضحكت ، وأدرت عيني إلى النافذة ، فإذا أنا أرى القمر الساطع يتوسط كبد السماء ، فخيل إلى أن القمر يشاركني سعادتي !

قال دك — ألم تجربي الطيران في ليلة مقمرة ؟

— إنها خسارة ... أليس كذلك ؟

— عندي طائرة جاهزة في أي وقت .

شكراً ... إني متعبة الآن .

لا شك أن دك كان يدعوني لنزهة ليلية ... ولكنه لم يجسر على توضيح رغبته ... ولكنني فهمتها ... مسكين دك !

وصعدت درجات السلم متخاذلة ، وفتحت باب مخدع زوجي فإذا هو غارق في نومه . فاقتربت منه أمشي على رؤوس أصابعي ، وانحنيت عليه أقبله ، ولست أدري لماذا جاءتني تلك الفكرة . فكرة المقارنة بين وجهه الذي دبت فيه معالم الكبر ، ووجه دك الريان بالشباب !

وسرت إلى النافذة حزينة متألمة ، فطالعني القمر بوجهه الضاحك ... فإذا أنا أعود إلى دك ... وما هي إلا لحظات ، حتى كنا نشق طريقنا مسرعين إلى أرض المطار .

قلت لنفسي وأنا أسبح في الجو إلى جانب دك — يالها من سعادة ! وتمنيت لو أن هذه النزهة الجوية لا تنتهي أبداً .

— أأعجبتك هذه النزهة ؟

— بل أحببتها كل الحب .

— وأنا ؟

في هذا السؤال كان بل جاداً كل الجد ، وخيل إلى أن الحب يصرخ في عيني : دك — أوه ! دك .. لا تكن .

ولكنه لم يمهلني ، وعاجلني بذراعين قويتين ، وشفاه ملتهبة .

— أحبك يا روث .. أتذكرين أول مرة قابلتك فيها ... وكنت تقضين شهر العسل ؟.. منذ ذلك اليوم أحببتك ، ولكني لم أجد فرصة لأعبر لك عن حبي .

* * *

كان زوجي شديد الولع بطفليه ... لم يكن يعاملها كما يعامل الأب أولاده ، وإنما كان يعاملها كما يعامل الصديق صديقه . لا يكاد يدخل البيت حتى يأخذ طفليه ليشغل كل وقته معهما . واعتاد الطفلان هذه الحياة ، حتى أنهما كانا يدعوان والدهما باسمه المجرد ، حتى خلا البيت كله من « بابا » أو « ماما » وكنت أنتقد هذه الطريقة في تربيته لولديه . ولكن رأيه لم يكن ليتأثر برأيي أنا .

وذات يوم أخذ زوجي يعد معدات السفر مع طفليه ... مع طفليه فقط !.. وتوسلت إليه أن يأخذني معهما ، ولكنه أبى على هذه الرغبة . — جان ... خذني معك . ستحتاج لمن يطبخ طعامكم ، ويغسل ملابسكم ... جان ، ربما مرض الطفلان ، فماذا تفعل وحدك ؟

ولكن السيارة ابتعدت بهم عن عيوني ، فوقفت وراء النافذة أسكب دموعي في حرقة ولوعة .

وسمعت دك يقول لي في تأثر شديد لماذا تحاربين حبنا يا روث ؟ إن الحب لأسمى من هذه القيود البغيضة التي تقيد عاطفتك بالأغلال وأمطرني بسيل منهمر من قبلاته .

وكتبت لجان رسالة طويلة أطلب حريتي ... وانتقلت مع دك إلى منزل صغير أحلناه إلى جنة صغيرة . ولكن حبي لدك لم يكن كل شيء بالنسبة لسعادتي ... حب دك لم يستطع أن ينسيني طفلي ، فأنا في منتصف الليل استيقظ من نومي ، فإذا وسادتي مبللة بدموعي ... كنت أحلم بهما .

وأقف أمام المرآة فأرى جمالي يعتريه الذبول ... إنني أكبر من دك بعشرة أعوام ، ومعنى هذا أنني أسبقه إلى الشيخوخة بعشرة أعوام ... وفي هذه المدة من يدري ماذا سيكون ... ربما انصرف دك عن حبي إلى حب فتاة أصغر مني وأجمل !.. وربما هذا لن يكون . وربما كبر طفلاي فيدركان معنى الأمومة ، فيعودان إلى ... من يدري ماذا يخبيء لي المستقبل . على كل حال ، فإنني أتمنى لو أنني أستطيع إعادة عقارب الساعة إلى تلك الأيام التي سبقت دخول دك منزلنا الهادىء لأول مرة .

(البصرة . مهال) يوسف يعقوب حداد

مطبعة الرسالة